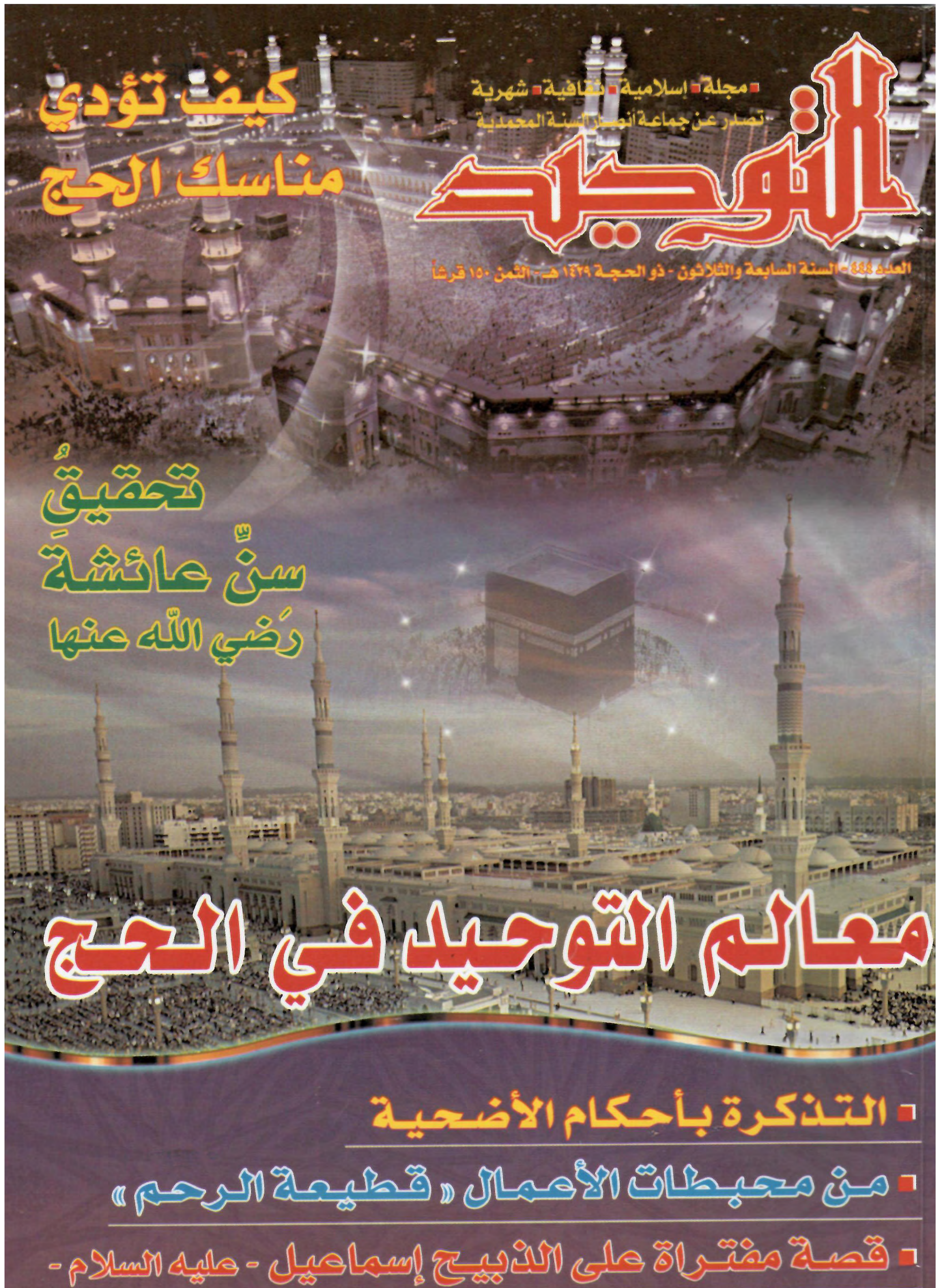

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٤٤٤ - السنة السابعة والثلاثون - ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً

كيف تؤدي مناسك الحج

تحقيقُ سنِّ عائشة رَضي اللّه عنها

معالم التوحيد في الحج

- التذكرة بأحكام الأضحية
- من محبطات الأعمال «قطيعة الرحم»
- قصة مفتراة على الذبيح إسماعيل - عليه السلام -

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

السنة السابعة والثلاثون

العدد ٤٤٤ ذو الحجة ١٤٢٩ هـ

رئيس مجلس الإدارة

د. جمال المراكبي

المشرف العام

د. عبدالله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية

د. عبدالعظيم بدوي

زكريا حسيني

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

ما يتركه الخليفه لولده من بعده

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال، وتركتهم عالة، ولا بدّ لهم من شيء يصلحهم، فلو أوصيت بهم إليَّ أو إلى نظرائي من أهل بيتك لكفيتك مئونتهم إن شاء الله، فقال عمر: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: الحمد لله، أبالفقر تخوفني يا مسلمة؟ أما ما ذكرت أني فطمت أفواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة، فإني لم أمنعهم حقًا هو لهم، ولم أعطهم حقًا هو لغيرهم، أما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولَّى الصالحين؛ وإنما بنو عمر أحد رجلين: رجلٌ اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرًا ورزقه من حيث لا يتحسب ، ورجل غيَّرا وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه. ادعوا لي بَنِي، فدعوهم، فقال: يا بني، ميلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيرًا من دخول أبيكم يومًا واحدًا في النار؛ قوموا يا بَنيَّ عصمكم الله ورزقكم.

فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر.

التحرير

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مفاجأة كبرى

لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٦ مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٦ سنة كاملة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

الافتتاحية: معالم التوحيد في الحج: الرئيس العام	٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير	٦
باب التفسير: تفسير سورتا التين والعلق: د/ عبدالعظيم بدوي	١٠
باب السنة: قصة صلح الحديبية: زكريا حسيني محمد	١٣
ليس كمثله شيء: إعداد/ شوقي عبدالصادق	١٧
درر البحار: علي حشيش	٢١
فضائل ولطائف سورة آل عمران: مصطفى البصراتي	٢٣
السياسة الشرعية بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين: د/ عبدالله شاكر	٢٦
من روائع الماضي: الشيخ العلامة أحمد شاكر	٣٠
واحة التوحيد: علاء خضر	٣٦
اتبعوا ولا تبتدعوا: معاوية محمد هيكل	٣٨
دراسات شرعية: متولي البراجيلي	٤٢
باب الأسرة: جمال عبدالرحمن	٤٦
كيف تؤدي مناسك الحج: صلاح نجيب الدق	٥٠
تحذير الداعية: علي حشيش	٥٣
باب الفتاوى	٥٦
التذكرة بأحكام التضحية: د/ حمدي طه	٥٩
الاعتراف بالفضل: زكريا حسان	٦٢
إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة: المستشار/ أحمد السيد علي	٦٤
التبشير والتغريب: أسامة سليمان	٦٧
من محبطات الأعمال: عبده الأقرع	٦٩

ثمن النسخة

مصر ١٥٠قرشا، السعودية ٦ريالات، الإمارات ٦دراهم، الكويت ٥٠٠فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠فلس، قطر ٦ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠دولارا أو ٧٥ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM

موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM

موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

٦٦٠ جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر

٢٢٠ دولارا لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

معالم التوحيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الله خلق الخلق ليعبدوه وبالألوهية يفردوه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولقد بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وداعين إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ولأجل هذا كانت العبادات المشروعة علامةً على هذا التوحيد وتأكيدا له؛ فالصلوات لإقامة ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، والله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت. والصوم عبودية خالصة لله تعالى كما جاء في الحديث المتفق عليه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به». والمال مال الله يستخلف فيه عباده، والزكاة حق الله في هذا المال قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

والحج لزيارة بيت الله الحرام، وإدامة ذكر الله وإعلان الطاعة والانقياد له سبحانه وتعظيم شعائره وشرائعه. وتتجلى معالم التوحيد في الحج في كل شعيرة من شعائره، وموقف من مواقفه وعمل من أعماله وذكر من أذكاره.

أولا: بناء البيت العتيق

أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت الحرام ليكون مثابة للناس وأمنا، وليكون قبلة للمؤمنين الموحدين ومنارة لنداء التوحيد فكان إبراهيم يبني ويرفع القواعد من البيت ومعه ولده إسماعيل وهما يدعوان الله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وهذا الدعاء منهما عليهما السلام وهما يبنيان البيت من أدل الدلائل على توحيدهما، ورجائهما في الله تعالى، وخوفهما ألا يقبل عملهما، وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ هذه الآية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، ثم يقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك. وأراد الله تعالى أن يكون هذا البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام موضعاً للمناسك، ومكاناً للطواف، وأمر سبحانه بتطهيره من كل ما يعارض التوحيد ثم قام ولدهما محمد الخليل الثاني بتطهير البيت من الأصنام والأوثان يوم فتح مكة وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ثم بين النبي ﷺ للناس مناسكهم ومشاعرهم ليبقى البيت منارة للتوحيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجعل يقول للناس: «خذوا عني مناسككم» ويقول: «قفوا على مشاعر أبيكم إبراهيم». قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٥-١٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

في الحج

د. جمال المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٢٦-٣٢].

ثانيا: التلبية شعار المؤمنين الموحدين

التلبية شعار الحجيج منذ نادى إبراهيم في الناس بالحج ممتثلاً قول الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾.

لقد كان العرب في الجاهلية يحجون ويلبون، ولكنهم يلبسون حجهم وتلبيتهم بما كانوا عليه من الشرك بالله فيقولون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك».

وجاء النبي الخاتم ﷺ ليعلن التوحيد ويهدم أركان الشرك، لبى بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». وكان بعض الناس يزيد على تلبية رسول الله ﷺ فلم ينكر عليهم ماداموا على التوحيد، ولكنه ﷺ التزم هذه التلبية لا يزيد عليها، ففيها توحيد الله عز وجل، ونفي الشريك عنه، وإثبات الحمد والنعمة والملك لله وحده لا شريك له.

وقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يلبي بتلبية رسول الله ﷺ ويزيد مع هذا: «لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل». رواه مسلم. «لبيك مرغوبًا ومرهوبًا إليك، ذا النعماء والفضل الحسن».
[ابن أبي شيبة، كما ذكره ابن حجر فتح الباري: ٣/٤١٠].

ويروى عن أنس: «لبيك حجًا حقًا تعبدًا ورقًا».

وتبدأ التلبية عند الإهلال، وتستمر حتى يرى المعتمر الكعبة فيقطع التلبية ويبدأ الطواف، وتستمر مع الحاج حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر.

ويستحب رفع الصوت بالتلبية، فأفضل الحج العج والثج، والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة الدماء يوم النحر (أي ذبح الهدي والأضحية).

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، مُر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج». رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وتكرار التلبية، وتكرار لفظ لبيك يفيد استمرار الإجابة أي إجابة بعد إجابة وقيل التلبية من اللزوم والإقامة، والمعنى: أقمت ببابك إقامة بعد أخرى وأجبت نداءك مرة بعد أخرى، ولازمت الإقامة على طاعتك.

ولقد كان الصحابة يلبون إذا دعاهم رسول الله ﷺ فيقول الواحد منهم: لبيك رسول الله وسعديك، فالتلبية لرسول الله ﷺ متابعة هديه وسنته، والتلبية لله توحيد وطاعة، والمؤمن لا ينفك عن التلبية والاستجابة حتى يلقى الله عز وجل، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وبشرته الملائكة برضوان الله فاستبشر، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

وجزاء المستجيبين لله ولرسوله الجنة قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [الرعد: ١٨].

ثالثاً: تعظيم البيت من تعظيم رب البيت سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٩٦].

وتعظيم البيت العتيق يكون بالتوجه إليه في الصلاة كما قال تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ويكون كذلك بالطواف به، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، اقتداءً برسول الله ﷺ.

لقد أمر الله بالطواف ببيته فقال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت فلا يجوز الطواف ببيت غيره على وجه الأرض، لا بالأضرحة ولا بالأشجار ولا بالأحجار. ومن هنا يعلم الحاج أن كل طواف بغير البيت العتيق فهو باطل، وليس عبادة لله عز وجل، وإنما هو عبادة لمن شرعه وأمر به من شياطين الإنس والجن.

ومن مظاهر توحيد الله في الطواف بالبيت العتيق: أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يعتقد أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله فهو يستلمهما طاعة لله واقتداء برسوله ﷺ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

ومن مظاهر التوحيد أن الطائف بالبيت العتيق يصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين خفيفتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وسورتي الإخلاص، فيقرأ في الأولى سورة البراءة من الشرك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢]، ويقرأ في الثانية سورة الإخلاص التي هي صفة الرحمن والتي تعدل ثلث القرآن.

رابعاً: السعي بين جبلي الصفا والمروة والدعاء والتهليل فيه

لقد كان رسول الله ﷺ يصعد جبلي الصفا والمروة ويسعى بينهما ممتثلاً أمر الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فيبدأ بجبل الصفا قائلاً: «أبدأ بما بدأ الله به» ثم يصعد الجبل ويرفع يديه مستقبلاً البيت معلناً توحيد الله قائلاً: «لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم يدعو بما تيسر رافعاً يديه، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات. رواه مسلم.

خامساً: دعاء يوم عرفة

سار النبي ﷺ بأصحابه إلى عرفة وكان من أصحابه الملبِّي، ومنهم المكبِّر، وهو يسمعُ ذلك ولا يُنْكِرُ على هؤلاء ولا على هؤلاء، فوجد القُبَّة قد ضُرِبَتْ له بنَمِرة بأمره، فنزل بها، حتى إذا زالت الشمسُ، أمر بناقته القصواء فَرُحِلَتْ، ثم سار حتى أتى بطن الوادي من أرض عُرَنَة، فخطب النَّاس وهو على راحلته خُطبة عظيمة قرَّر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشِّرْك والجاهلية، وقرَّر فيها تحريم المحرَّمات التي اتفقت المللُ على تحريمها، وهي الدماءُ، والأموالُ، والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه، ووضع فيها ربا الجاهلية كُلَّه وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحقَّ الذي لهن والذي عليهن، وأن الواجب لهن الرزقُ والكسوةُ بالمعروف، ولم يُقدِّر ذلك بتقدير، وأوصى الأمَّة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يضلُّوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه، واستنطقهم: بماذا يقولون، وبماذا يشهدون، فقالوا: نشهد أنك قد بلَّغْتَ وأدَّيْتَ ونصحْتَ، فرفع أصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات، وأمرهم أن يُبلِّغَ شاهدُهم غائبهم، ثم صلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً، فلما فرغ من صلاته، ركب حتى أتى الموقف، فوقف، واستقبل القِبْلة، فأخذ في الدُّعاء والتضرُّع والابتهال إلى غروب الشمس، وأمر النَّاس أن يرفعوا عن بطن عُرَنَة، وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك، بل قال: «وقَفْتُ هاهنا وعَرَفَةُ كُلُّها مَوْقِفٌ».

وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره كاستطعام المسكين، وأخبرهم أنَّ خَيْرَ الدُّعاء دُعاءُ يوْمِ عرفة.

وذكر الإمام أحمد: من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه قال: كان أكثرُ دُعاءِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم يوْم عرفة: «لا إله إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ، بيده الخيْرُ وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ».

وذكر البيهقيُّ من حديث عليٍّ رضي الله عنه، أنه صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم قال: «أكْثَرُ دُعائي ودُعاءِ الأنْبياءِ منْ

قَبْلي بِعَرَفَةَ: لا إله إلاَّ الله وَحْدَه لا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ وهُوَ على كُلِّ شَيء قَدِير». [زاد المعاد].

سادساً: الحج يذكر بمواطن ومشاهد الآخرة

ويتجلى هذا حينما يترك الحاج وطنه وبلده وأهله وولده قادماً على الله عز وجل، فيتجرد من ثيابه ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين نظيفين كأنهما أكفان الموتى، ويقف مع الحجيج على صعيد عرفات فيتذكر الموقف العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

قال بعض العلماء: من أعظم معاني التوحيد في الحج أن الحج يذكر الإنسان بالآخرة، فإن الإنسان من أول لحظة في الحج إذا خرج من بيته يتوجه إلى الميقات، فيأتيه أمر الله عز وجل في الميقات أن يتجرد من ثيابه، وأن ينزع عنه المخيط. فإذا تجرد من ثيابه تذكر إذا جرده أهله من ثيابه حين يموت ليغسلوه، هو اليوم يجرد نفسه؛ ولكنه غداً يُجرَّدُ. ثم إذا لبس ثياب الإحرام فإنه يتذكر لبس الأكفان، وعندما يلبس ثياب الإحرام فإنه يمنع من الطيب، ومن قص الشعر، ومن الترفه، فيتذكر أنه إذا صار إلى قبره يحال بينه وبين أي شيء من ملاذ الدنيا ومتعها وما فيها من الشهوات والملهيات، كذلك هو في حجه يُمنع من هذه الأمور لكي يتذكر الآخرة.

ثم إذا صار إلى صعيد عرفات تذكر وقوف الناس بين يدي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً، فيتذكر مثل هذه المواقف؛ ولذلك يقولون: الحج يعين على تذكر الآخرة.

قال أبو العتاهية:

لعَمْرُكَ، ما الدُّنيا بدارِ بَقَــاءِ ... كَفاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَــاءِ
فَـلا تَعشقِ الدُّنيا، أُخَيَّ، فإنَّمـا ... يُرَى عاشِقُ الدُّنْيَـا بجَهْدِ بَـلاءِ
حَـلاوَتُها مَمـزُوجَـةٌ بمَرارَةٍ ... ورَاحتُـهَـا ممـزوجَـةٌ بعَنـاءِ
فَـلا تَمـشِ يَوْمـاً في ثِيابِ مَخيلَةٍ ... فإنَّكَ مِـن طِـينٍ خُلقـتَ ومَـاءِ
لَقَـلَّ امـرُؤٌ تَلقاهُ للـه شاكِــراً ... وقَـلَّ امـرُؤٌ يرضَـى لهُ بقَضَـاءِ
وللـه نَعْمَـاءٌ علَينـا عَظيمَـــةٌ ... وللـه إحسـانٌ وفَضلُ عطَـاءِ
أزُورُ قبُـورَ المترَفِـينَ فَـلا أرَى ... بَهاءً، وكانـوا، قَبلُ، أهـلَ بهـاءِ

سابعاً: ذكر الله في الحج

فالحاج يأتي ربه ذاكراً ملبياً مستجيباً، قد تجرد من دنياه، وترك بلده وأرضه وأهله وثياب زينته، وأقبل على الله أشعث أغبر مُحْرماً، يلبي ويكبر، ويدعو ويستغفر، ويقف عند المشاعر وقد تملكته مشاعر الحب والرغبة والرهبة والخوف والرجاء، ولا يفتر قلبه ولا لسانه عن ذكر ربه وخالقه ومولاه.

وقد أمر الله عز وجل الحاج بذكره، وكرر الأمر في مواضع من كتابه العزيز، حتى لا تكاد تجد آية في كتاب الله عز وجل تخاطب الحاج إلا وتجد فيها الأمر بذكر الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٨- ٢٠٢].

وقد ختمت هذه الآيات بذكر الله تعالى تنويهاً بختام الحج بالذكر، فكما يبدأ الحج بالذكر ينتهي بالذكر.

هذا، وقد سبق أن كتبنا مقالاً مفصلاً عن ذكر الله في الحج يُغني عن إعادته.

فانظر رحمك الله إلى هذه العبادة الجليلة وما فيها من المشاعر التي تجيش لها المشاعر فتنبض القلوب المؤمنة بذكر الله عز وجل وإعلان الاستجابة لندائه سبحانه والتوجه إليه وحده لا شريك له.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن وأن يملأ قلوبنا بطاعته ومحبته وتعظيمه وخشيته، وأن يرزقنا حج بيته، وأن يقبل عباده الذاكرين الملبين، وأن يردهم إلى أهليهم سالمين غانمين بحج مبرور وذنب مغفور وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمة التحرير

حرية العقائد الواهية ... وتصريحات الوزير البالية !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعـــد:

فإن الأمور لا تثبت على حال، والسعيد من لازم التقوى، إن استغنى زانَتْهُ، وإن افتقر أغنته، وإن ابتلي جمَّلَتْهُ، فلازم التقوى في كل حال، فإنك لا ترى في الضيق إلاَّ السعة، ولا في المرض إلا العافية، ولا في الفقر إلاَّ الغنى، والمقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يُقدَّر لا حيلة في تحصيله، والرضا والتوكل يكتنفان المقدور، والله المتفرد بالاختيار والتدبير.

ونحن في هذه الأيام المباركة على أعتاب مؤتمر عالمي يهرول إليه المسلمون من كل بقاع الدنيا، مؤتمر الحجيج، وهو مدرسة العطاء العظيمة في حياة المسلمين، واسعة الأثر، بليغة العبرة، موسم تسمو فيه الأرواح، وتشرق النفوس، ألوان مختلفة، وأجناس متعددة، وألسن متباينة، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثًا غبرًا». (أخرجه أحمد في مسنده).

ويحكي القرآن الكريم دعاء إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٩٧].

ضربات من الداخل بحجة حرية العقيدة

وإذا كنا ننتظر المؤتمر العالمي للمسلمين، مؤتمر الحجيج، فإن المؤامرات من الداخل والخارج تتابع على الأمة، فبالأمس القريب يخرج علينا وزير الثقافة بتصريح مفاده المطالبة بالاعتراف بالديانات الأرضية!! وقد جاءت تصريحاته خلال لقائه بأعضاء الجمعية البريطانية المصرية للأعمال، حيث صرح بأنه يجب أن نقبل الديانات الأرضية ولا نرفضها؛ لأن هذا جزء من حرية العقيدة، وإذا رفضناها نكون متخلفين وجاهلين!!

وإني لأتساءل: لماذا يقحم الوزير نفسه في قضايا تحتاج إلى متخصصين للرد عليها وتفنيدها؟ وهل تكون هذه التصريحات قد صدرت عنه في محاولة لكسب وتأييد جميع الأصوات في إطار حملته ومنافسته للوصول إلى اليونسكو؟! وهل يكون ذلك على حساب الدين.. إن مجرد ترديده لهذه الكلمات بقبول ما يطلق عليه: «ديانات أرضية» أو وضعية، إنما

يمثل خطراً شديداً على الإسلام والمسلمين ؛ لأن الذين يقفون خلف أتباعهم ويحركونهم، بل ويضغطون من أجل الاعتراف بهم، إنما يسعون لتشويه الإسلام والنيل منه بأي وسيلة بعد أن أفزعتهم قوة انتشاره وارتفاع أعداد معتنقيه في جميع أنحاء المعمورة!!

والإسلام يعترف بكل الشرائع السماوية، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٨] وعلى هذا فالإسلام إنما يعترف بالشرائع التي جاءت قبلنا، والتي ذكرت في كتاب الله تعالى، وفي سنة نبيه ﷺ، مع العلم أن الإسلام ناسخ لكل الشرائع السماوية السابقة.

أما المعتقدات المنسوبة إلى الأرض كالتي ظهرت في الهند واليونان والصين، وغيرها من الدول، وما ظهر من أخلاط المعتقدات شتى فلا يعترف بها الإسلام والمسلمون.

التشويش على الإسلام والمسلمين

إننا لم نعرف الأديان إلا عن طريق السماء، أما ما يظهر على الأرض من معتقدات فاسدة فهي ليست أدياناً، وإنما هي معتقدات شيطانية، ومن ثَمَّ فإن إنكار هذه المعتقدات الباطلة إنما هو واجب شرعي، ولا ينبغي أن يقال بأن إنكار هذه المعتقدات الأرضية تخلف ورجعية، فالتخلف والرجعية إنما يأتيان من مهادنة تلك المعتقدات الفاسدة الباطلة، والترويج لها، وليعلم كل من ينادي بمهادنة هذه الأفكار والتعامل معها تحت زعم أن ذلك يندرج تحت حرية الاعتقاد أنه يروج بذلك لأفكار دنيئة تنزل بالإنسان الذي كرمه الله تعالى إلى أسفل الدرجات، فليس من حرية العقيدة أن يُترك الأمر دون ضوابط، فمعنى العقيدة أن تكون قائمة على مصدر تشريعي سماوي، أما إذا كانت قائمة على مصدر عقلي غير متزن فإنها تكون بمثابة الفوضى.

وليقل وزير الثقافة ما يشاء، ولكن لا يصح أن يتهم من لا يقر بما يقوله بالتخلف والرجعية، خاصة أنه سمح لنفسه أن يتحدث في شأن لا علاقة له به من قريب أو بعيد، وكان الأولى به أن يهتم بشئون وزارته، ويترك الكلام في الدين والأديان لمن يعي ويفهم، ولا يقحم نفسه في قضايا لا يدرك هو معنى ومدى خطورتها، وفتح مجرد المجال للتحدث عنها، وأن يدرك أن سعيه لكسب أصوات أصحاب المذاهب والفلسفات الوضعية والفرق الضالة يجب ألا يكون على حساب الإسلام.

وليدرك الوزير الهمام أن الدين عند الله الإسلام، وليقرأ قوله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] فكل الشرائع السماوية إنما جاءت لتدعو إلى الدين الإسلامي الذي هو خاتم الرسالات، نزل به خاتم الرسل، ولا دين بعده، وما يطلق عليه أدياناً أرضية أو وضعية إنما هي خرافات وضعها بعض المبتدعين الضالين، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، يخدعون بذلك أصحاب النفوس الضعيفة والإيمان الهش، وسعياً للحصول على سلطة زائلة.

الانهيار المالي في أمريكا واستهداف أموال العرب

بينما نتطلع بشغف وشوق شديدين إلى مؤتمر إسلامي معظم في نفس كل مسلم يتمنى أن يُشارك فيه حتى تلتئم الجراح ونلملم شمل الأمة وشتاتها، وقد تحدثنا في العدد الماضي عن الأزمة المالية العالمية وتداعياتها، ولضيق المساحة فإنه كان من الضرورة بمكان أن نعرض لكل ما يدور حول تلك الأزمة ومسبباتها وما يُشَمّ من ورائها، فمثلما شرع كثيرون في التشكيك فيمن يقف وراء تفجيرات ١١ سبتمبر، وقالوا إنها ربما كانت بسبب براعة التخطيط والدقة والتراخي الاستخباري الأمريكي - مؤامرة أمريكية صهيونية تستهدف فتح الباب أمام حرب ضروس ضد الإسلام الذي بدأ ينتشر في العالم ويأخذ مكانة العدو الأول للرأسمالية والإمبراطورية الأمريكية.. تصاعد الجدل مؤخراً في المنتديات حول ما إذا كانت أزمة الانهيار المالي في أمريكا «مؤامرة» بدورها للاستيلاء على

الأموال العربية في المصارف. وقال أصحاب هذه النظرية: إن مسألة المؤامرات لها تاريخ متغلغل في أمريكا منذ اغتيال «كينيدي» وأن هناك أحجاراً تتحرك على رقعة الشطرنج الأمريكية لا يُعْرَفُ عنها الكثير.

وفي وقت واحد تقريباً وقبل الانهيار المالي الأخير بثلاثة أشهر صدر تقريران استراتيجيان أمريكيان في يونيو ٢٠٠٨م يحذران من تأثير رأس المال العربي أو ما يسمى صناديق الأجيال، أو صناديق الثروة السيادية التي يسيطر على أغلبها رأس المال الخليجي الناتج عن النفط على الاقتصاد الأمريكي والغربي مستقبلاً، ويحذران من تحول دفة السياسة في العالم مستقبلاً لخدمة مصالح عربية بفعل هذا التأثير الاقتصادي لو رغبت هذه الدول النفطية، وهذا هو ملخص التقرير الأول الذي أعده «ريتشارد هاس» مسئول التخطيط السابق بوزارة الخارجية الأمريكية، وصاحب مشروع نشر الديمقراطية بالقوة في العالم العربي والإسلامي تحت عنوان «عالم بلا أقطاب»، ونشر في عدد مايو / يونيو ٢٠٠٨ من مجلة الشئون الخارجية، وذكر فيه «هاس» على مصادر الثروة السيادية لدى الدول الخليجية وتخوف الكثيرين من تزايد سطوتها وممتلكاتها بما يمكنها من التحكم في النظام المالي الأمريكي، واستخدامها كأدوات للضغط السياسي في المستقبل.

والتقرير الثاني نشره «دانييل دريزنر» الأستاذ المساعد للسياسات العالمية بكلية فيتشر في مجلة «ذي أمريكان» عدد يونيو ٢٠٠٨ تحت اسم «السيادات قادمة»، أكد فيه على أن عصر سيادة هذه الصناديق السيادية العربية قادم بسبب تضخم أموال هذه الصناديق العربية السيادية أي التي تمتلكها حكومات عربية.

تفاصيل المؤامرة المحكمة

وإذا كنا نعتبر أن ذلك من قبيل المؤامرة يتعلق بما يمكن تسميته خطة أمريكية محكمة لا تغيب عنها الأصابع الصهيونية تستهدف التقليص العددي لبعض البنوك والشركات الأمريكية خصوصاً تلك التي تتركز فيها الاستثمارات العربية النفطية والأسيوية بغرض الاستيلاء على أموال صناديق الثروة العربية التي تضعها الحكومات في البنوك والشركات والمؤسسات الأمريكية الصناعية «لأنه لا توجد ضمانات لمن يضعون أموالهم في المؤسسات المفلسة باستعادتها».

وأن هذه الانهيارات المفتعلة للبنوك والشركات الأمريكية تستهدف ليس فقط أكثر من تريليون دولار «ألف مليار» من أموال صناديق الثروة السيادية العربية، وإنما مثلها وأكثر من صناديق الثروة السيادية الأسيوية واللاتينية لدول مثل الصين واليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية والبرازيل المستثمرة في المؤسسات المالية والتي تعتبر ديوناً على الاقتصاد الأمريكي، وسوف تعود لبلادها هي وأرباحها الخيالية، وهو ما لا يريده صانع القرار الأمريكي، ليس فقط لأن الاقتصاد الأمريكي المتهالك لا يحتمل مخاطر سحب هذه الأموال الطائلة التي بدأت بعض الدول في سحبها بالفعل في أعقاب الأزمات المالية وهجمات ١١ سبتمبر، ولا يقدر على دفع أرباح هذه الأموال الباهظة للخارج، وإنما أيضاً لأهداف سياسية تتعلق بإنقاذ الإمبراطورية الأمريكية الرأسمالية من الإفلاس والانهيار الاقتصادي والسياسي معاً، ولن يستطيع المستثمرون الأجانب هنا أخذ أي تفويض من الشركات المفلسة بموجب قانون يحمي المؤسسات المفلسة من الدائنين ولا يرتب حقوق لأصحاب الإيداعات على من يشترون هذه الشركات أو البنوك من المستثمرين الأمريكيين الآخرين.

ولإدراك خبث هذه المؤامرة تشير إلى أن السياسة الأمريكية الاقتصادية سعت في عهد بوش إلى اتباع نظام طباعة البنكنوت «الدولارات» بدون أسس نقدية سليمة، أي بدون إنتاج حقيقي مقابل اعتماداً على أن اقتصاد العالم وخصوصاً دول الخليج مرتبط بالدولار صعوداً أو هبوطاً وهو الذي يتحمل نتائج ذلك، وبالتالي زاد التوسع في الإصدار النقدي دون غطاء حقيقي من الإنتاج لتحقق للولايات المتحدة ثراءً مستلباً من باقي بلدان العالم، وإسقاط هذه الأموال العربية والأسيوية التي دخلت في الاقتصاد الأمريكي أهم خطوة لتخليص الاقتصاد الأمريكي من هذه الديون التي أثقلت

كاهله، والتي لا يوجد لها غطاءً نقدي مماثل من العملة الخضراء.

حجم الأموال العربية في أمريكا

وإذا اردنا أن نتعرف على حجم الأموال العربية في أمريكا، فإننا لا نجد أرقاماً أو إحصائيات دقيقة حول الأموال العربية المستثمرة في أمريكا، ولكن هناك بحوثاً اقتصادية عربية تقدم أرقاماً تقريبية تقول: إن حجم هذه الأموال يتجاوز تريليون دولار، فيما تقدر هيئات أخرى حجم الأموال الخليجية المهاجرة في الخارج فقط بنحو ١,٤ تريليون دولار منها ٧٥٠ مليار دولار سعودياً، وحوالي ٤٥٠ مليار دولار منها تستثمر في الولايات المتحدة الأمريكية، و٢٥٥ مليار دولار في أوروبا.

وسبق أن ذكرت المؤسسة العربية لضمان الاستثمار في الكويت في تقرير لها أواخر عام ٢٠٠٤م أي قبل تضاعف أموال النفط في العامين الماضيين بفعل ارتفاع أسعار البترول أن حجم الثروات العربية في الخارج بلغ نحو ١,٤ تريليون دولار.

وقد بلغت سطوة هذه الصناديق للثروة السيادية وهي أدوات استثمارية حكومية لدول خليجية وآسيوية ولاتينية والتي تدير أصولاً تزيد على ٢,٥ تريليون دولار «ويتوقع أن تصل أرصدتها إلى ١٢ تريليون عام ٢٠١٥»، حيث إنها ضخت خلال الأشهر القليلة الماضية مبلغ ٦٠ مليار دولار في البنوك التي ضربتها كارثة الرهن العقاري المفاجئة في الولايات المتحدة، وكذلك حين صبت صناديق سيادية من آسيا والخليج قرابة ٢٠ مليار دولار في «سيتي بنك» و«ميريل لينش»، وهي مؤسسات أعلنت إفلاسها لاحقاً رغم الضخ المالي فيها من صناديق الثروة السيادية وهي أموال عربية ذهبت لخبر كان!!

وتكمن أهمية أموال الصناديق التي تمتلكها الحكومات العربية في أنها تُسيطر على أصول استراتيجية أمريكية لمؤسسات مالية كبرى مثل «بلاك ستون» و«بوبي إس»، و«ميريل لينش» و«مورجان ستانلي»، و«سيتي» ما يجعلها تتحكم في الاقتصاد الأمريكي وربما التأثير على السياسة الاقتصادية الأمريكية بل والسياسة الأمريكية بصفة عامة لاحقاً لو أرادت الدول التي تمتلك هذه الصناديق استعمال هذا السلاح وهو ما ألمح إليه ثعلب وداهية السياسة الأمريكية «هنري كسينجر» وزير الخارجية الأسبق إبان حرب ١٩٧٣م.

حجم الخسائر العربية

ومع أنه لا يوجد تقارير موثقة عن الخسائر العربية عبر صناديق الثروة الخليجية في الأزمة المالية الأمريكية الأخيرة فالذي لا شك فيه أنها بالمليارات التي ذهبت لبطن الحوت الأمريكي ويصعب أن تعلن عنها الحكومات حتى لا تنال غضب الشعوب، وكي لا يؤثر هذا على اقتصادها وأسواقها المالية، وهنا تحقق المؤامرة الأمريكية الاستيلاء على أموال الثروات العربية والعالمية أيضاً، غالبيتها من النفط وبما ينقذ الاقتصاد الأمريكي المتهالك ولو بعد حين، حتى لو أدى هذا للتضحية بإفلاس عدة بنوك أو شركات أمريكية.

والأهم أن هذه المؤامرة بالاستيلاء على بعض أموال صناديق الثروة الخليجية عبر خدعة إفلاس بعض البنوك والمؤسسات الأمريكية تبدو وكأنها فرصة إذن لأصحاب صناديق الثروة الخليجية لأن عمليات الشراء المطردة التي تقوم بها هذه الصناديق السيادية في أمريكا لشركات ومؤسسات أمريكية تثير قلقاً متزايداً بين السياسيين الأمريكيين ومخاوف من سيطرة عربية سياسية في أمريكا، أو التحكم في شركات وصناعات حيوية مثل صناعة الطائرات وغيرها، وسوف تكشف لنا الأيام القليلة القادمة أن الأزمة الحالية قد حاكها الأمريكان واليهود ممن يتقلدون المناصب الرفيعة في الإدارية الأمريكية، وتستمر المؤامرات بالأمة من هنا وهناك... والله من ورائهم محيط، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سورتا التين والعلق

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

يقول تعالى: «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» [التين: ١-٨].

تفسير الآيات

يُقسمُ الله تعالى بالتين والزيتون وهما معروفان، وخصهما بالذكر تشريفًا وتكريمًا.

قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو الجبلُ الذي كلم الله عليه موسى، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ يعني: مكة، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو جوابُ القسم، وهو أنَّ الله خلق الإنسان في أحسن صورة، كما قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ» [غافر: ٦٤]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» [الانفطار: ٦-٨]. وهذه نعمةٌ تستحق الشكر، فمن آمن فقد شكر، ومن كفر فقد كفر، وسيردُ إلى أسفل سافلين، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: إلى النار، والنارُ دركاتٌ بعضُها أسفل من بعض، والأسفل أشد عذابًا من الذي فوقه، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا» [النساء: ١٤٠]. وقال: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» [النساء: ١٤٥]، ومن رُدَّ إلى النار قَبُحَ منظره، وساءت صورته، قال الله تعالى: «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ» [المؤمنون: ١٠٣، ١٠٤] أي: عابسون، وقد بدتْ أسنانُهم، وتقلصتْ شفاههم كالرأس المشويّ على النار.

وقال تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ» [عبس: ٤٠-٤٢].

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا» [يونس: ٢٧]، وقال تعالى: «وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا» [طه: ١٠٢]، وأقبحُ صورة أن تكونَ الوجوه سودًا والعيونُ زُرقًا.

وقال النبي ﷺ: «إنَّ غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا، وإنَّ ضرسه مثل أحد، وإنَّ مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة». [صحيح، رواه الترمذي (٢٧٠٦ / ١٠٥ / ٤)].

فانظروا - رحمكم الله - ما أقبح هذه الصورة، وما كان أحسنَ صورةَ هذه الإنسان في الدنيا، نسأل الله السلامة والعافية.

ثم استثنى ربنا من ذلك المصير مَنْ آمن وعمل صالحًا، فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: أنهم في جنات النعيم، على صورة أجمل من الصورة التي كانوا عليها في الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «إنَّ أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دُرّي في السماء إضاءة». [متفق عليه].

ثم يُزاد في جمالهم كل أسبوع، كما قال ﷺ: «إنَّ في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهبُّ ريحُ الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالاً». [رواه مسلم (٢٨٣٣ / ٧٨ / ٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: أجرٌ دائمٌ غير منقطع، كما قال تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» [هود: ١٠٨]، وكما قال تعالى: «إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ» [ص: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ يعني: فمن

هذا الذي يكذبك يا نبينا وقد جئتهم بالبينات والهدى؟! ومنْ هذا الذي يكذّب بالحساب والجزاء ؟! ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ بلى، ومنْ حكمته أن يبعث الناس بعد الموت، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» [النجم: ٣١]، ولو لم يكن بعثٌ كما ظنّ المكذبون لاستوى الظالم والمظلوم، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر، والله قد نفى التسوية بينهم جميعًا: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» [السجدة: ١٨]، «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» [القلم: ٣٥].

فلا بدّ من البعث للفصل بين العباد، ومجازاة كل عامل بعمله، لأن عدم البعث يتنافى مع حكمة الله عز وجل «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» سبحانك بلى.

سورة العلق

يقول تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» [سورة العلق].

بين يدي السورة

سورة مكية، وصدرها أول ما نزل من القرآن، وهو يحكي كيف بدأ الوحي، وما بعد ذلك من الآيات فإنه يذكر حقيقة من حقائق الإنسان وهي أنه إذا استغنى طغى - إلا من رحم الله - ثم تذكر قصة الشقي أبي جهل ونهيه النبي ﷺ عن الصلاة، وتوعد الله إياه: «كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ».

تفسير الآيات

روى البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ»، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني، زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلاّ والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصلُ الرحم، وتحملُ الكلّ، وتكسبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق.

فانطلقتْ به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عمّ خديجة، وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكونُ حيًا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم. لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإنْ يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن تُوفي، وفتر الوحي. [متفق عليه].

قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ يعني: لتكن قراءتك باسم ربك، باسم الله، لا باسم غيره، وإنما باسم الله، ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾، والخلقُ يقتضي الربوبية، فالله سبحانه وتعالى هو رب العالمين، لأنه الذي خلقهم، ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، والمقصود بنو آدم لا الإنسان الأول الذي هو آدم نفسه، وأما قوله تعالى: «خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ» [الرحمن: ١٤]، فالمراد به الإنسان الأول آدمُ عليه السلام، وقد جمع الله بين الاثنين، وبين أصل كل منهما، في قوله: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ» [السجدة: ٧، ٨].

والعلق: دُودٌ أسودُ في الماء معروفٌ، كذا في لسان العرب، والمرادُ به في الآية الحيوانات المنوية.

وقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾، فليس بعد كرم الله كرم، وما النعم التي يتقلب فيها العباد إلا من فيض كرمه سبحانه، ومن كرمه هذا الوحي الذي أوْحاهُ إلى نبيه رحمةً للعالمين، ولقد عرف السلف قدر هذه

النعمة، وبكوا حين فقدوها، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعمر - رضي الله عنهما - بعد وفاة الرسول ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما أتيا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ ؟ قالت: بلى، إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها. [رواه مسلم ٢٤٥٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. إن الإنسان يخرج من بطن أمه لا علم عنده، ثم يتعلم، وقد وهبه الله الحواس التي هي وسائل التعلم، كما قال تعالى: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [النمل: ٧٨]. فالواجب على كل إنسان أن يستغل هذه الحواس في تعلّم دينه والتفقه فيه، فقد قال ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». ومن عجز عن التعلم فليسأل العلماء، فإن الله تعالى قال: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النحل: ٤٣].

وكونُ هذه الآيات أولَ ما ينزل دليلٌ على أن الإسلام دينٌ يقوم على العلم، وينبذ الجهل ويعيبه، كما ينبذ التقليد ويذمه، ذلك أن العلم هو السبيل الوحيد إلى الإيمان، وقد فهم الإمام البخاري رحمه الله هذا فصدر كتابه الصحيح بكتاب كيف بدأ الوحي، وثنى بكتاب الإيمان، ثم ثلّث بكتاب العلم، وكأنه رحمه الله يريد أن يقول: إنّ أول واجب على المكلف الإيمانُ، وأن الإيمان سبيله العلمُ، وأنّ العلم مصدره الوحي بشقيه: الكتاب والسنة، فاقرءوا يا أمة الإسلام، وتعلّموا يا أمة القرآن: ««يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»» [المجادلة: ١١]. ولقد سبق الكلام في فضل العلم عند تفسير هذه الآية من سورة المجادلة.

قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾: روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى على رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيده، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً». قال: فأنزل الله عز وجل: ««كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ...»» الآيات. إلخ.

وهذا - كما يقول العلماء - من العام المخصوص، لأنا رأينا أغنياء لا يظلمون ولا يبغون، رأينا أغنياء صالحين ««فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»» [المعارج: ٢٤]، ««يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»» [البقرة: ٢٧٤]، ««وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا»» [الإنسان: ٨-١٠].

يدل على تخصيص الآيات قوله تعالى: ««إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ...»» [المعارج: ١٩-٣٥] الآيات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ تنبيه لذلك الغافل، وتذكير لذلك الضال، أيها الباغي الطاغي: ««إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ»»، فإلى أين أنت ذاهب، ««وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ»» [النجم: ٤٢]، فلماذا هذا الظلم ؟ ولماذا هذا الطغيان ؟! فافق من غفلتك، وانتبه من رقدتك، ««وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»» [القصص: ٧٧]، ««وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»» [المنافقون: ١٠، ١١].

قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ قال ابن كثير رحمه الله نزلت في أبي جهل لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولاً، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي فما ظنك إن كان الذي تنهاه على الطريق المستقيم في فعله ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ولهذا قال ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾؟! أي أما علم الناهي لهذا المهتدى أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء.

ثم قال تعالى متوعداً ومهدداً ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من العناد والشقاق ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنسمنها سواداً يوم القيامة. ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها. قوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: قومه وعشيرته، أي: ليدعهم يستنصر بهم. ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ وهم ملائكة العذاب، حتى يعلم من يغلب، أحزبنا أم حزبه!!

ثم تختم السورة بتوجيه النبي ﷺ إلى الثبات على الطاعة: ««كَلَّا لَا تُطِعْهُ»» فيما ينهاك عنه، ««وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب»»، فإن «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». [صحيح: رواه مسلم: ٤٨٢ / ٣٥٠ / ١، وأبو داود ٨٦١ / ١٢٨ / ٣، والنسائي ٢٢٦ / ٢].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

قصة صلح الحديبية والدروس المستنبطة منها.

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على خير خلق الله المبعوث رحمة وهداية للناس كافة، وعلى آله وصحابته الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما يُصدِّق كل واحد منهما حديث صاحبه - قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعةً، فخذوا ذات اليمين». فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حَلْ. فألَحَّتْ. فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خُطةً يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». ثم زجرها فوثبتْ. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضًا، فلم يلبثه الناس، حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّيِّ حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْلُ بن ورْقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عَيْبَةَ نُصْح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العُوذُ المطافيل وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نَهكَتْهُمُ الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهرْ وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا. وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره». فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى

قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. قال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ. فقام عروة بن مسعود فقال: يا قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: ألست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلَّحُوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا عرض عليكم خطة رشد اقبلوها، ودعوني آتيه، قالوا: ائته. فأتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبُدَيل. فقال عروة عند ذلك: أيْ محمدُ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: امْصُصْ بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. فقال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجْزِكَ بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما كلمه كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غُدَرُ، ألستُ أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء». ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه. قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن يَتَنَخَّمُ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البُدْنَ فابعثوها له». فبُعِثَتْ له، واستقبله الناس يُلَبُّونَ. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قُلِّدَتْ وأشْعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدُّوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مِكْرَزُ بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائْتِه، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال مَعْمَرٌ: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيلٌ، قال النبي ﷺ: «قد سَهُلَ لكم من أمركم». قال معمرٌ: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكْتُبْ بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيلٌ: أما «الرحمن» فلا أدري ما هي، ولكن اكتب «باسمك اللهم» كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا يكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال النبي ﷺ: «اكتبْ باسمك اللهم». ثم قال: «هذا ما قضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتبْ محمد بن عبد الله». قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به». فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطَةً، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ - وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرَدُّ إلى المشركين، وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيلٌ: هذا يا محمدُ أول ما أقاضيك، عليك أن ترده إليَّ. فقال النبي ﷺ:

«إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: «فأجزه لي». قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: «بلى فافعل». قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان عُذِّب عذاباً شديداً في الله، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: «إني رسول الله، ولستُ أعصيه وهو ناصري». قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبيَّ الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستَمْسِكْ بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به.

قال الزهري: قال عمر رضي الله عنه: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، ثم دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ: ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة]. فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير - رجل من قريش، وهو مسلم - فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: أجلْ والله إنه لجيد، لقد جربتُ به، ثم جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً». فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل والله صاحبي، وإني لمقتول، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليه ثم أنجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد». فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحمَ لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ: ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦]، وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الشروط باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط) برقم (٢٧٣١- ٢٧٣٢)، وله أطراف ذكر فيها بعض الحديث مختصراً مقتصراً على بعضه، وذلك بالأرقام (١٦٩٤، ١٦٩٥- ١٨١١- ٢٧١١- ٢٧١٢- ٢٧٣١، ٢٧٣٢٠ ٤١٥٧، ٤١٥٨، ٤١٧٨، ٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١)، وأخرجه أبو داود في سننه برقم (١٧٥٣) مقتصراً على تقليد الهدي وإشعاره، كما أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى في السير (١٦٢) مختصراً، و(١: ٢) كما في التحفة، وقد ساق القصة ابن إسحاق في السيرة بطولها بألفاظ مقاربة لألفاظ البخاري، كما نقلها عنه ابن هشام في السيرة.

شرح الحديث

قال الحافظ في الفتح: قوله: «عن المسور بن مخرمة ومروان» أي: ابن الحكم، «قالا خرج»: هذه الرواية بالنسبة إلى مروان مرسلة لأنه لا صحبة له، وأما المسور فهي بالنسبة إليه أيضًا مرسلة لأنه لم يحضر القصة، وقد تقدم في أول الشروط من طريق أخرى عن الزهري عن عروة أنه سمع المسور ومروان يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر بعض الحديث، وقد سمع المسور ومروان من جماعة من الصحابة شهدوا هذه القصة؛ كعمر وعثمان وعلي والمغيرة وأم سلمة، وسهل بن حنيف وغيرهم، ووقع في نفس هذا الحديث شيء يدل على أنه عن عمر رضي الله عنه - كما سيأتي التنبيه عليه - وقد روى أبو الأسود عن عروة هذه القصة، فلم يذكر المسور ولا مروان لكن أرسلها، وهي كذلك في «مغازي عروة بن الزبير» أخرجها ابن عائذ في المغازي له بطولها، وأخرجها الحاكم في «الإكليل» من طريق أبي الأسود عن عروة أيضًا مقطعة.

قوله: «زمن الحديبية» في معجم البلدان: الحديبية بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء خفيفة أو مشددة قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، بعضها في الحل وأكثرها في الحرم، وقيل: سميت بشجرة حَدْبَاء صغرت.

قال الحافظ في الفتح: ووقع في رواية ابن إسحاق في المغازي عن الزهري: «خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً». ووقع عند ابن سعد: «أنه ﷺ خرج يوم الاثنين لهلال ذي القعدة».

قوله: «حتى إذا كانوا ببعض الطريق». قال ابن حجر: اختصر المصنف صدر هذا الحديث الطويل مع أنه لم يسقه بطوله إلا في هذا الموضع، وبقيته عنده في المغازي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري قال: ونبأنيه معمر عن الزهري: وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشًا جمعوا جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال ﷺ: أشيروا أيها الناس عليَّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلا تركناهم محرومين، قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله.

إلى ها هنا ساق البخاري في المغازي من هذا الوجه، وزاد أحمد عن عبد الرزاق، وساقه ابن حبان من طريقه قال: قال معمر: قال الزهري: وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدًا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. اهـ.

ثم ذكر ابن حجر الروايات التي تؤكد مشاورة رسول الله ﷺ لأصحابه، ورد أبي بكر عليه إشارته بالاستمرار إلى ما جاء من أجله وهو العمرة حتى يكون بدء القتال من المشركين، وأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر رضي الله عنه. قال: والأحابيش جمع أُحْبُوش، وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش قيل تحت جبل يقال له: الحبشي أسفل مكة، وقيل: سموا بذلك لتحبشهم، أي تجمعهم، والتحبش: التجمع، والحباشة: الجماعة.

قوله: «قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة». خالد لم يكن أسلم حينئذ، وإنما كان على شركه فلم يسلم إلا بعد الحديبية، وأما الغميم فبفتح المعجمة: وحكى فيها القاضي عياض الضم على التصغير.

قال المحب الطبري: يظهر أن المراد كراع الغميم وهو موضع بين مكة والمدينة. اهـ.

قال ابن حجر: وسياق الحديث ظاهر في أنه كان قريبًا من الحديبية، فهو غير كراع الغميم الذي وقع ذكره في الصيام وهو الذي بين مكة والمدينة، وأما الغميم هذا فقال ابن حبيب: هو قريب من مكان بين رابغ والجحفة، وبين ابن سعد أن خالدًا كان في مائتي فارس فيهم عكرمة بن أبي جهل، والطليعة: مقدمة الجيش.

قوله: «فخذوا ذات اليمين». أي الطريق التي فيها خالد.

فنكتفي بهذا القدر، ونكمل إن شاء الله تعالى في العدد القادم شرح الحديث ونبين الفوائد المستنبطة من هذه القصة المباركة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به.

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله الكبير المتعال، تنزه عن كل نقص واتصف بكل كمال، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله تحلى بكريم الأخلاق والخصال، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال ابن كثير: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد، الذي لا نظير له. حقًا ليس كمثله شيء في صفاته ولا أفعاله، فقد اتصف سبحانه بكل كمال، وتنزه عن كل نقص، ويفعل ما يشاء بمن شاء وما شاء، لا راد لحكمه، اتصف بالصفات العليا وكل صفاته عليا، وهي صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، وصفات الله تعالى تنقسم - كما يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله- إلى قسمين:

أولاً صفات ثبوتية: وهي ما أثبته الله تعالى لنفسه: كالحياة والعلم والقدرة، ويجب إثباتها لله تعالى على الوجه اللائق به لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

ثانيًا: صفات سلبية: وهي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله تعالى لأنه نفاها عن نفسه، لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله تعالى على الوجه الأكمل لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتًا، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. ويقول تعالى في الحديث القدسي: «إني حرمت الظلم على نفسي». فيجب نفي الظلم عن الله تعالى، مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى ذاتية وفعلية، والصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها كالسمع والبصر والحياة، والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والمجيء، ومن هذه الصفات الثبوتية الذاتية ما يلي:

صفة الوجه

الوجه ثابت لله تعالى بنص الكتاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. قال ابن كثير: أي إلا إياه، وقال: كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يخرج إلى الخربة فيقف عليها وينادي بصوت حزين: أين أهلك، ثم يرجع إلى نفسه ويقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾.

والوجه ثابت أيضًا بالسنة؛ لحديث مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله

ﷺ بخمس كلمات: ﴿إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور». وفي رواية: «لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

وعند مسلم أيضًا عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم». [مختصر مسلم ١٨١].

فهذه النصوص من الكتاب والسنة الواجب نحوها إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله سبحانه وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان لأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بغير علم وقد حرمه الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وفسر أهل التعطيل الوجه بالثواب، وأجمع السلف على إثباته لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل وهو وجه حقيقي يليق بالله تعالى.

صفة اليدين

اليدان من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وصفة اليدين ثابتة بالسنة ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله ملأىٰ لا يغيضها نفقةٌ سحَّاءُ الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات فإنه لم يغضْ ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع». [اللؤلؤ والمرجان: ٥٨٠].

والأوجه التي وردت عليها صفة اليد الإفراد والتثنية والجمع، يقول ابن عثيمين: في التوفيق بينها هذه: الوجه الأول مفرد مضاف، فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا تنافي التثنية، على أنه قيل إن الجمع أقله اثنان فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية، وفسرها أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها، وهو مردود عليهم بالأدلة السابقة. [شرح لمعة الاعتقاد ص٢٤].

صفة النفس

أجمع السلف على ثبوتها لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه لإثبات القرآن والسنة لها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ

الغيوب﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وفي السنة المطهرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». [اللؤلؤ والمرجان ١٧٢١].

قال ابن حجر: يحتمل أن يكون مثل قوله: «فاذكروني أذكركم، ومعناه: اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام، وقيل: إن ذكرني بالتنزيه سرًا، ذكرته بالرحمة والثواب سرًا». [١٣ / ٣٩٨].

ولكن التحقيق كما ورد في كتاب التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري لعلي عبد العزيز الشبل تقديم العلامة ابن باز، رحمه الله، وآخرين، أن كلا هذين التأويلين باطل، والصواب أن الله يذكر عبده في نفسه وفي غيرها على الحقيقة اللائقة به سبحانه، أما الثواب والرحمة والإنعام فهي من آثار رحمة الله وإحسانه. [ص١٠٧].

وعند مسلم عن جويرية زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته».

ومن الصفات الفعلية الكلام

وهو صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قال ابن كثير: قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك، ولو جئنا بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. قال ابن كثير: إنه تعالى إن تكلم بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع يسأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش الذين يلونهم ثم الذين يلونهم من تحتهم حتى ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا. [٣ / ٧٢٥].

وهو سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة،

فيقولون: لبيك ربنا وسعديك». [متفق عليه].

والقرآن من كلام الله سبحانه، وليس هو كل كلامه ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

يقول ابن عثيمين - رحمه الله -: هو كلام حقيقي يليق بالله تعالى يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة، والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، فالتكليم حصل بعد مجيء موسى، فدل على أنه متعلق بالمشيئة، والدليل على أنه حروف قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله، والدليل على أنه بصوت، قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت، وكلام الله قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع أن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا ليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء. [شرح لمعة الاعتقاد ص٣٦-٣٧].

صفة الرضا

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف ؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧، ٨]، وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها». قال ابن عثيمين رحمه الله: أجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو رضا حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالثواب وهو مردود. [شرح لمعة الاعتقاد ص٢٦].

صفة الغضب

وهذه الصفة ثابتة بالكتاب؛ لقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، أي: أغضبونا وأسخطونا، والصفة ثابتة بالسنة أيضًا بقوله عليه السلام من حديث أبي هريرة: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي». [اللؤلؤ والمرجان ١٧٤٩].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

درر البحار (٥٩)

مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد
علي حشيش

١٦٥٧- عن جابر رضي اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فقال: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ». م(٢١١٧)، حب (٥٦٢٨)، حص(٧ / ٣٥)، حم (١٤١٦٦).

١٦٥٨- عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي اللهُ عنهما قال: زَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَصِلَ المَرْأَةُ بِرَأْسِهَا شَيْئًا. م (٢١٢٦)، حم (١٤١٥٧)، حب (٥٥١٥)، هق (٢ / ٤٢٦).

١٦٥٩- عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه: قال رسول اللَّه ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». م(٢١٢٨)، حم (٨٦٧٣)، (٩٦٨٦)، حب (٧٤٦١)، هق (٢ / ٢٣٤).

١٦٦٠- عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ». م(٢١٢٩)، حم (٢٥٣٩٥)، ن (٨٩٢٠ / ٥ - كبرى).

١٦٦١- وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى الله عَبْدُالله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ». م(٢١٣٢)، د(٤٩٤٩)، ت(٢٨٣٤)، جه(٣٧٢٨).

١٦٦٢- عن المغيرةِ بنِ شُعْبَةَ رضي اللهُ عنه قال: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فقالوا: إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ: «يَا أُخْتَ هَارُونَ» [مريم: ٢٨] وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذلك، فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ». م(٢١٣٥)، حم (١٨٢٢٦)، ت(٣١٥٥)، ن(١١٣١٥ / ٦- كبرى)، حب (٦٢٥٠).

١٦٦٣- عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: نَهَانَا رسُولُ الله ﷺ أَنْ نُسَمِّيَ رَقِيقَنَا بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ: أَفْلَحَ، وَرَبَاحٍ، وَيَسَارٍ، وَنَافِعٍ. م (٢١٣٦)، حم (٢٠١٥٨)، د(٤٩٥٩)، جه (٣٦٣٠)، حب (٥٨٣٦)، هق (٩ / ٣٠٦).

١٦٦٤- عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الكَلامِ إلى الله أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ، ولا تُسَمِّيَنَّ غُلاَمَكَ يَسَارًا وَلاَ رَبَاحًا ولا نَجِيحًا، وَلاَ أَفْلَحَ، فَإِنَّكَ تقولُ: أَثَمَّ(١) هُوَ؟ فَلاَ يَكُونُ، فَيَقُولُ: لاَ».

١٦٦٥- عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أن رسولَ الله ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ: «أَنْتِ جَمِيلَةُ». م(٢١٣٩)، حم(٤٦٨٢)، د(٤٩٥٢)، ت(٢٨٣٨)، جه(٣٧٣٣)، حب(٥٨١٩)، (٥٨٢٠)، هق (٩ / ٣٠٧).

١٦٦٦- عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: كانت جُوَيْرِيَةُ اسمُها بَرَّةُ، فَحَوَّلَ رسولُ الله ﷺ اسْمَهَا جُوَيْرِيَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ. م(٢١٤٠)، د(١٥٠٣)، حب (٥٨٢٩).

١٦٦٧- عن زينبَ بنتِ أم سَلَمَةَ رضي اللهُ عنهما قالت: كَانَ اسْمِي بَرَّةَ فَسَمَّانِي رسولُ الله ﷺ زينب، ودخَلَتْ عَلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ واسْمُها بَرَّةُ فَسَمَّاها زَيْنَبَ. م(٢١٤٢)، د(٤٩٥٣).

١٦٦٨- عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا بُنَيَّ». م(٢١٥١)، حم (١٤٠٤٠)، د(٤٩٦٤)، ت(٢٨٣١).

١٦٦٩- عن أبي موسى الأشعري رضي اللهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ». م(٢١٥٤)، د(٥١٨١).

١٦٧٠- عن جرير بنِ عبد الله رضي اللهُ عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نَظَرِ الفُجَاءَةِ فَأَمَرَني أَنْ أَصْرِفَ بَصَري. م(٢١٥٩)، حم(١٩١٨١)، (١٩٢١٨)، د(٢٢٤٨)، (٢٧٧٦)، ن(٩٢٣٣ / ٥ - كبرى)، حب (٥٥٧١).

١٦٧١- عن أبي طلحةَ رضي اللهُ عنه قال: كُنَّا قُعُودًا بالأفنية نتحدثُ، فجاء رسولُ الله ﷺ فقام علينا فقال: «مَا لَكُمْ وَلِمجَالِسِ الصُّعُدَاتِ(١)، اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ». فقلنا: إنما قعدنا لغيرِ ما باسٍ قعدنا نتذاكرُ ونتحدثُ، قال: «إمَّا لا فَأَدُّوا حَقَّهَا: غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلامِ، وحُسْنُ الكَلامِ». م(٢١٦١).

١٦٧٢- عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال: سَلَّمَ نَاسٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ فقال: «وَعَلَيْكُمْ». فقالت عائشةُ وغَضِبَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قال: «بلَى، قد سَمِعْتُ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّا نُجَابُ عَلَيْهِمْ ولا يُجَابُونَ عَلَيْنَا». م(٢١٦٦).

١٦٧٣- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «لاَ تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِه». م(٢١٦٧)، حم (٧٦٢١)، (٨٥٦٩)، (٩٧٣٢)، (٩٩٢٦)، د(٥٢٠٥)، ت(١٦٠٢)، (٢٠٠٠)، حب (٥٠٠)، (٥٠١).

١٦٧٤- عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ وَأَنْ تَسْتَمِعَ سِوَادِي(١) حَتَّى أَنْهَاكَ». م(٢١٦٩)، حم(٣٨٣٣)، ن(٨٢٦١- كبرى)، جه(١٣٩)، حب (٧٠٦٨).

١٦٧٥- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَلاَ لاَ يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ». م(٢١٧١)، ن(٩٢١٥ / ٥- كبرى)، حب (٥٥٨٧)، (٥٥٩٠)، هق (٧ / ٩٨).

١٦٧٦- عن عبد الله بنِ عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ(١) إِلاَّ وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ». م(٢١٧٣)، حم(٦٦٠٦)، ن(٩٢١٧ / ٥- كبرى)، حب (٥٥٨٥)، حق (٧ / ٩٠).

١٦٧٧- عن جابرٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «لاَ يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ثُمَّ لِيُخَالِفْ إِلَى مَقْعَدِهِ فَيَقْعُدَ فِيه، وَلَكِنْ يَقُولُ: افْسَحُوا». م(٢١٧٨)، حم (١٤٦٩١).

١٦٧٨- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِه». م(٢١٧٩)، حم(٨٥١٧)، (٩٠٥٧)، (٩٧٨١)، (١٠٨٢٥)، د(٤٨٥٣)، جه(٣٧١٧)، حب(٥٨٨).

١٦٧٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النبي ﷺ مُخَنَّثٌ فَكَانُوا يَعُدُّونَهُ من غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ، فَدَخَلَ النبيَّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ نسائه، وَهُوَ يَنْعَتُ امْرَأَةً قال: إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِأَرْبَعٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ بِثَمَانٍ، فقال النبي ﷺ: «أَلاَ أَرَى هَذَا يَعْرِفُ مَا هَاهُنَا؟ لا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ». قَالَتْ: فَحَجَبُوهُ. م(٢١٨١)، حم(٢٥٢٤٠)، د(٤١٠٧)، (٤١٠٨)، (٤١٠٩)، ن(٩٢٤٦، ٩٢٤٧ / ٥- كبرى)، حب (٤٤٨٨)، حق (٧ / ٩٦).

الهوامش

١- ثَمَّ: هنا.

٢- الصعدات: الطرقات.

٣- سوادي سِرِّي.

٤- مُغِيبَةٌ: التي غاب عنها زوجها.

فضائل ولطائف

سورة آل عمران

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما يزال حديثنا متصلاً حول فضائل ولطائف سورة آل عمران، ونتحدث بإذن الله تعالى في هذا العدد عن الآيتين الثانية والأربعين والثالثة والأربعين.

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ» [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

الواو حرف عطف، «إذ» منصوبة بفعل محذوف تقديره: اذكر، وتضمين الجملة لهذا يدل على العناية بها، وأنه ينبغي إشهارها وإظهارها حتى تتبين وتتضح للناس، وإنما ذكر الله قصة زكريا ومريم هنا وعيسى فيما بعد؛ لأنها نزلت في وفد نجران الذين قدموا على النبي ﷺ وهم من النصارى، فأراد الله أن يبين لنبيه ﷺ قصة المسيح ومن حوله كاملة حتى يتبين له الأمر تماماً، فإذا احتاج إلى محاجة النصارى كان عنده علم أفضل مما عندهم.

قوله: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ»:

قال النيسابوري رحمه الله: والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجيء في سورة مريم، «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا» [مريم: ١٧]. اهـ.

ونداؤها باسمها نوع من التكريم، إذ لم يقلْ: يا هذه باسم الإشارة، بل أتى باسمها - الاسم العلم - تكريماً لها.

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ» أي: اختارك واجتباك لطاعته، وما خصك به من كرامته، وذلك لأن «اصطفى» أصلها «اصتفى» بالتاء، لكن لعلة تصريفية قلبت التاء طاء وهي مأخوذة من الصفوة، أي: جعلك من صفوة الخلق، واصطفاؤه إياها سبحانه وتعالى من عدة وجوه:

منها: أنه تقبلها بقبول حسن حين قالت أمها: «إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا» [آل عمران: ٣٥]، مع أن المعروف عندهم أنه لا يخدم المساجد إلا الرجال، لكن هي قبلت، ومن اصطفائه لها أنه أنبتها نباتاً حسناً.

ومن اصطفائه لها أيضاً أن الله تعالى اختار أن تكون عند نبي من الأنبياء حتى تتربى في بيت نبوة.

قوله: «وطهرك»: الظاهر أنه طهرها من الأرجاس المعنوية، وأنها بالنسبة للأرجاس الحسية كالبول والغائط والحيض كغيرها من النساء، وليس كما ذهب بعض المفسرين أنها كانت لا تحيض، لكنه طهرها من الأرجاس المعنوية، فبرأها الله تعالى مما رماها به اليهود، وكذلك طهرها من سفاسف الأخلاق، حتى كانت دائماً في عبادة الله سبحانه وتعالى.

ثم قال: «وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»: أي: ميزك من بينهن. قال النيسابوري في «غرائب القرآن»: ثم إنه تعالى مدحها بالاصطفاء، ثم بالتطهير، ثم بالاصطفاء، ولا يجوز أن يكون الاصطفاآن بمعنى واحد للتكرار والصرف، فحمل المفسرون الاصطفاء الأول على ما اتفق لها من الأمور في أول عمرها، منها قبول تحريرها مع كونها أنثى، ومنها ما قاله الحسن: ما غذتها أمها طرف عين بل ألقتها إلى زكريا وكان رزقها من عند الله.

ومنها تفريغها للعبادة، ومنها إسماعها كلام الملائكة شفاها، ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها، إلى غير ذلك من أنواع اللطف والهداية والعصمة في حقها.

وأما التطهير: فتطهيرها عن الكفر والمعصية، كما قال عز وجل في حق أزواج النبي ﷺ وأهل بيته: «﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» [الأحزاب: ٣٣]، وعن مسيس الرجال، وعن الأفعال الذميمة.

وأما الاصطفاء الثاني: فهو ما اتفق لها في آخر عمرها من ولادة عيسى بغير أب وشهادته ببراءتها عما قذفها اليهود، قيل: المراد اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها ؛ لما روى البخاري ومسلم أنه ﷺ قال: «كَمُلَ من نساء العالمين أربع: مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة، وفاطمة». فهي من النساء الكُمَّل، رضي الله عنها.

قال القرطبي: قال علماؤنا رحمهم الله: الكمال هو التناهي والتمام، ويقال في ماضيه: «كَمُل» بفتح الميم وضمها، ويكمل في مضارعه بالضم، وكمال الشيء بحسبه، والكمال المطلق إنما هو لله تعالى خاصة، ولا شك أن أكمل بني آدم الأنبياء، ثم يليهم الأولياء من الصديقين والشهداء والصالحين.

ثم قال تعالى: «﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾»، هذا من خطاب الملائكة أيضًا تقول لها: «﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾»، والقنوت هو دوام الطاعة، واللام في قوله: «لربك» للاختصاص، أي: قنوتًا خالصًا لله، أي: طاعة خالصة له، لأن من شرط الطاعة أن تكون خالصة لله تعالى.

وقوله: «لربك» الربوبية هنا ربوبية خاصة، تختص بمن خصها الله به، وتفيد تربية أكثر اعتناء واختصاصًا من الربوبية العامة.

وقوله: «واسجدي» الواو حرف عطف، واسجدي: يعني السجود المعروف، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن هذه الأمة أمرت أن تسجد على سبعة أعضاء، وعطف السجود على القنوت من باب عطف الخاص على العام.

وذكر الخاص بعد العام يدل على فضله ومزيته، ولا شك أن السجود من أفضل أنواع الطاعة، لذلك كان أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد.

وقوله: «واركعي مع الراكعين» الركوع معروف وهو انحناء الظهر، وقوله: «مع الراكعين» أي في جملتهم، وليس المراد أنها تصلي مع الجماعة ؛ لأن المرأة لا تخاطب بالصلاة مع الجماعة، لكن كوني في جملة الراكعين الذين يركعون لله عز وجل، وقوله: «مع الراكعين»، ولم يقل: مع الراكعات مع أنها أنثى، إما للتغليب، وإما لأن الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء.

ولأن الكُمَّل من الرجال أكثر من الكُمَّل من النساء، ولهذا لم يكمل من النساء إلا أربع، وقدم السجود على الركوع في قوله: «واسجدي واركعي» ؛ لأن هيئة السجود أفضل وأبلغ في الخضوع، فقدمها على الركوع، أما من حيث الترتيب الفعلي بالنسبة للصلاة فإن الركوع قبل السجود.

من فوائد الآيتين الكريمتين:

١- تعظيم شأن مريم عليها السلام، حيث أمر الله نبيه أن يذكر قصتها لهذه الأمة ؛ لأنه كما قلنا: «وإذ قالت» مفعول لفعل محذوف تقديره: «واذكر إذ قالت».

٢- فضيلة مريم، حيث خاطبتها الملائكة بقولها: «﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾».

٣- دليل على ما ذهب إليه بعض أهل العلم أن مريم نبية ؛ لأن الملائكة أوحت إليها وقالت: إن الله اصطفاك... إلخ، ولكن في هذا الاستدلال نظر، لأنه ليس بصريح في أنها نبئت، ومجرد خطاب الملائكة لها لا يثبت نبوتها ؛ لأن النبوة إنما هي لمن أوحي إليه بشرع لا لمن أوحي إليه بثناء أو بتهيئة لما سيكون، بل لمن أوحي إليه بشرع، وهي لم يوح إليها بشرع، فالأمر ليس بصريح، ولدينا آية تدل على أنه لا يبعث من النساء نبية، قال الله تعالى: «﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾» [يوسف: ١٠٩].

قوله: «إلا رجالاً» و«إلا»: تفيد الحصر، فتدل على أنه لا يمكن أن تكون امرأة من النساء نبية، وكذلك أيضًا قول النبي ﷺ حين بلغه أن الفرس أمروا عليهم بنت كسرى، قال: «لن يفلح قوم ولوْا أمرهم امرأة»، رواه البخاري.

فكيف يمكن أن يرسل الله تعالى امرأة ليفلح

الناس على يديها.

صحيح أن المرأة تكون عالمة، وتكون داعية كما هو الواقع، أما أن تكون نبية يوحى إليها لتتولى السلطة كما يقولون التشريعية والتنفيذية فهذا بعيد، فالصواب أن مريم من الصالحات القانتات، وليست من الأنبياء والرسل.

٤- أن الله تعالى يصطفي من الناس من يشاء؛ لقوله: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ» أي: أنه اختارها اختيارًا لم يشاركها فيه أحد، لأنها صارت خادمة لبيت المقدس مع أنه لا يخدمه عندهم إلا الرجال، فهذا نوع من الاصطفاء.

٥- براءة مريم مما ادعاه اليهود من كونها بغيًا؛ لقوله: «وطهرك»، واليهود - قبحهم الله - اعتدوا على مريم وابنها فقالوا في مريم: إنها بغي، وقالوا في ابنها عيسى: إنه ولد زنا، وكذبوه وقتلوه إثمًا لا حقيقة، كيف قتلوه إثمًا لا حقيقة؟ لأنهم أمضوا هذا الأمر الذي يظنون أنهم قتلوا به عيسى وصلبوه، «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ» [ا،ـ فكانوا قتلة إثمًا لا حقيقة، لأن عيسى باقٍ إلى الآن، قال تعالى: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ...».

٦- أن مريم مفضلة على نساء العالمين، ولكن هل هذا يتناول نساء العالمين إلى يوم القيامة، أو نساء العالمين في زمنها؟ الراجح أن المراد نساء العالمين في زمنها.

٧- بيان أنه كلما مَنَّ الله سبحانه وتعالى على إنسان بشيء كانت مطالبته بالعبادة أكثر، لأن الملائكة لما قالت: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» أمرتها بالقنوت والسجود والركوع، فدلَّ هذا على ذلك شكرًا بالقنوت لله والركوع والسجود وسائر العبادات.

٨- فضيلة القنوت لله، ولكن ما هو القنوت؟ دوام الطاعة، والخشوع والاشتغال بالطاعة عما سواها، ولهذا لما نزلت هذه الآية: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» [البقرة: ٢٣٨]، أمروا بالسكون ونهو عن الكلام ليشتغلوا بالطاعة عما سواها، فالقنوت دوام الطاعة مع الاشتغال بها عن غيرها.

٩- جواز ترك الترتيب للمصلحة أو لمراعاة شيء آخر، لقوله: «وَاسْجُدِي وَارْكَعِي»، ولا يقول قائل: لعل الصلاة في عهدهم يقدم فيها السجود، وفي هذه الشريعة يقدم فيها الركوع، نقول: الأصل خلاف ذلك، لكن نص على السجود وبدأ به، لأنه أبلغ في القنوت من الركوع.

١٠- أن العُبَّاد من الرجال أكثر من العُبَّاد من النساء؛ لقوله: «وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ»، ولم يقل مع الراكعات إشارة إلى أن الكمال في الرجال، وكثرة العمل في الرجال أظهر منها في النساء، ولهذا كانت النساء أكثر أهل النار كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بالشرقية، أنه قد تم قيد لائحة النظام الأساسي لجمعية أنصار السنة المحمدية بجزيرة النص بفاقوس شرقية، برقم (١٨٣٥) بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٦م، طبقًا للقانون (٨٤) لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

إشهار

كما تشهد مديرية التضامن الاجتماعية بكفر الشيخ، أنه قد تم إشهار فرع أريمون - كفر الشيخ، برقم (١٠٤٧)، بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢م والله الموفق.

السياسة الشرعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فما زال حديثنا متصلاً حول فقه الاستضعاف وفقه التمكين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تغير الفتوى وتجديد الخطاب الديني

لم يختلف علماء الأمة الإسلامية في أن الثبات من خصائص هذه الشريعة الغراء - في عمومها - فهي شريعة لا تقبل التطويع للأغراض والأهواء وتقلبات الأمزجة واختلاط الآراء، ولا تقبل كذلك الذوبان في شرائع أخرى ولا معها، ولا يملك أحد أن يُبدلها ولا أن يغيرها بحجة تغير الظروف والأحوال، قال تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ» [الأنعام: ١١٥]، أي: صدقًا فيما أخبر، فما أخبر به هو الحق، وعدلاً فيما حكم فما أمر به هو العدل، وما نهى عنه فهو الباطل، ولا معقب لحكمه في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يملك أحد أن يغيرها ولا أن يبدلها ولا أن يخرج عن شيء من أحكامها، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، والتغيير فيما قد كمل وتم اتهام بالنقص، بل هو عين النقص.

وقال عز وجل: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]، فلا يجوز الخروج عن شريعة الله ولا عن شيء من أحكامها، ولا يجوز التبديل ولا التغيير فيها، وقال عز وجل: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقال عز من قائل: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[البقرة: ٢١١]، وقال ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». [البخاري: ٢٦٩٧، ومسلم: ١٧١٨].

وقال ﷺ: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسُنة نبيه». [الحاكم في المستدرك: ١ / ١٧١، والبيهقي في الكبرى ١٠ / ١١٤].

فالشريعة الإسلامية ثابتة، تستعصي على التحريف والتبديل، وتتأبى على التطويع والتعطيل، ومن رماها بشيء من ذلك رمته بالكفر والتضليل.

ولقد حاول كثير من دُعاة العصرانية أن ينفذوا إلى غرضهم في تبديل الشريعة وتذويب أحكامها وتطويع مبادئها للأهواء، وذلك من خلال ما اشتهر في كتب العلم من تغير الأحكام بتغير الأزمان، ولا يمكنهم ذلك؛ لأن ما عناه العلماء بهذه المقولة شيء وما أردوه شيء مختلف تمام الاختلاف، فتغير الأحكام بتغير الأزمان ليس فيه تبديل للشرع المحكم، ولا تغيير للشريعة الثابتة، بل هو خاصية في الشريعة نفسها تكسبها صفة البقاء والخلود وتزيدها ثباتًا وإحكامًا بقدرتها على تلبية كل متغير في حياة الناس.

يقول فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - بعدما حمل على القائلين بتغير الأحكام -: «والعصرانيون دخلوا من هذا التقعيد الصوري إلى أوسع الأبواب، فأخضعوا النصوص ذات الدلالة القطعية كآيات الحدود في: السرقة والزنا ونحوهما بإيقاف إقامة الحدود ؛ لتغير الزمان، وهكذا، مما نهايته انسلاخ من الشرع تحت سرادق موهوم». [التعالم وأثره على الفكر والكتاب، د. بكر أبو زيد، ص٥٥].

وكذلك الشيخ محمد بن شاكر الشريف يُحذِّر من طائفتين: إحداهما استغلت هذه المقولة لتحقيق بغيتها في نفث سمومها والسعي في إطفاء نور الله وتحريف دينه باسم «تجديد الخطاب الديني»، والثانية: وجدت في هذه المقولة وسيلة للتوفيق بين الفكر الغربي المعاصر وبين أحكام الشريعة.

وقد عقَد الإمام ابن القيم رحمه الله فصلاً نافعًا في كتابه «إعلام الموقعين» عن هذا الموضوع قال فيه: «هذا فصل عظيم النفع جدًا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يُعلَم أنَّ الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإنَّ الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة

بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين

الحلقة الثالثة

إعداد: د/ عبدالله شاكر الجنيدي

إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتاويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون وهُداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي مَن استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل... إلى أن قال: فالشريعة التي بعث الله بها رسوله ﷺ هي عمود العالم وقُطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة». [إعلام الموقعين ٣ / ١٤].

ولا يتناقض هذا المحور المُهم مع القول بثبات الشريعة؛ ذلك أنَّ الفتوى هي: «جواب المفتي»، أو «ما يصدر عن المفتي»، ومن البين أنَّ الفتوى قد تدخل فيها أو ترتبط بها عدة عوامل تكون مرتَّبة عليها، وبالتالي يلحق بالفتوى التغيير بضوابط مهمة، ذكرها أهل العلم - وستاتي الإشارة إليها - مع التاكيد على أن ما يقع فيه التغيير إنَّما هو بحسب اجتهاد المجتهد، وبحسب تحقيق مناط الحكم وتحقيق المصلحة، ومراعاة العُرف، إذا كان ممَّا يلحظ فيه ذلك.

ومن أمثلة هذا النوع: تنظيم جمع الزكاة وصرفها في مصارفها الشرعية، وكالأحكام التي علَّقها الشارع على العُرف ولم يقيدها بوصف سوى الحكم العام، كالتراضي في البيوع، وألفاظ القذف، واليمين، كمَن حلف لا ياكل لحمًا، والعُرف يخصصه في حكم الغنم والبقر والجمل دون لحم السمك وغيره، فلو أكل لحم السمك لا يُعد حانثًا وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا: أن تغيير الفتوى بهذا المعنى، إنَّما هو إعمال لما أمرتْ به الشريعة، وراعته في أصولها الكلية وجزئياتها الفرعية، إذ من الفُتيا ما يكون من حيثيات الحكم فيها مراعاة العُرف والمصلحة فإذا تغير العُرف أو تخلفت المصلحة تغيرت الحيثية، فتتغير - لذلك - الفُتيا، أما الأحكام الأساسية فهي ثابتة لا تتغيرُ ولا تتبدلُ.

يقول الأستاذ مصطفى الزرقا: «قد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أنَّ الأحكام التي تتبدلُ بتبدلُ الزمان وأخلاق الناس هي الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية - أي التي قررها الاجتهاد بناءً على القياس أو على دواعي المصلحة، وهي المقصودة بالقاعدة: «لا يُنكر تغير الأحكام بتغيُّر الأزمان».

وقال أيضاً: «أمَّا الأحكام الأساسية التي جاءت الشريعة لتاسيسها وتوحيدها بنصوصها الأصلية الآمرة الناهية، كحُرمة المحرَّمات المُطلقة، وكوجوب التراضي في العقود، والتزام الإنسان بعقده، وضمان الضرر الذي يلحق بغيره، وسريان إقراره على نفسه دون غيره، ووجوب منع الأذى وقمع الإجرام وسدِّ الذرائع إلى الفساد وحماية الحقوق المكتسبة، ومسئولية كل مكلف عن عمله وتقصيره، وعدم مؤاخذة بريء بذنب غيره. إلى غير ذلك من الأحكام والمبادئ الشرعية الثابتة التي جاءت الشريعة لتاسيسها ومقاومة خلافها، فهذه لا تتبدل باختلاف الأزمنة المحدثة». [المدخل الفقهي العام ٢ / ٩٢٤-٩٢٥].

ولهذا أقول: يجب أن يراعى عند تغير الفتوى الضوابط التي وضعها أهل العلم في ذلك، وهي - باختصار - كما يلي:

١- اختلاف العوائد والأعراف

من الأمور التي تتغيَّر بسببها الفتوى تغيُّر العوائد والأعراف التي تبنى عليها الفتوى.

يقول القرافي: «فمهما تجدَّد العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمدْ على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك فلا تُجْره على عُرف بلدك، واسألْهُ عن عُرف بلده، وأفْتِه به دون عُرف بلدك، والمقرَّر في كُتبك «الفروق ١ / ١٧٦، ١٧٧».

وقال ابن القيم: «فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد». [إعلام الموقعين: ٣ / ١٤].

وقد بوَّب البخاري في جامعه الصحيح بابًا قال فيه: «باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة والمكيال والوزن وسننهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة، وقال شريح للغزَّالين: سُنَّتكُم بينكم، وقال النبي ﷺ لهند: «خُذي ما يكفيك

وولدك بالمعروف». وقال تعالى: «وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ»».

وقال ابن حجر: «قال ابن المنير وغيره: مقصودُهُ بهذه الترجمة إثبات الاعتماد على العُرف وأنه يُقضى به على ظواهر الألفاظ، وذكر القاضي حسين من الشافعية أنَّ الرجوع إلى العُرف أحد القواعد الخمسة التي يبنى عليها الفقه». [فتح الباري: ٤ / ٤٠٥، ٤٠٦].

وقد ضرب العلماء أمثلة كثيرة لذلك، منها: ما يخرج في صدقة الفطر، فإنَّ الحديث جاء بإخراج صاع من تمر أو شعير أو زبيب أو أقط، فرأى العلماء أنَّ هذه الأقوات كانت هي غالب القوت عندما قال الرسول ﷺ ذلك الحديث في ذلك الزمان، وعلى ذلك أفتى العلماء بجواز إخراج صاع من الأرز والذرة... ونحوه إذا كان هذا هو غالب قوت البلد في زمنهم. [إعلام الموقعين ٣/ ٢٣، ٢٤].

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أنَّ العوائد قسمان:

أحدهما: العوائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها، بمعنى أنه أمر بها إيجابًا أو ندبًا، أو نهى عنها كراهةً أو تحريمًا، أو أذن فيها فعلاً وتركًا.

الثاني: العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليلٌ شرعي.

أما الأول: وهي العوائد الشرعية، فهذه ثابتة أبدًا لا يُمكن أن تتغيَّر فيها الفتوى إلا بدليل شرعي يخصص عموم الأول أو يُقيده، لأنها نصَّ عليها الشارع بخصوصها، وأثبت لها حكمًا شرعيًا، فتَغَيُّرُ عادةُ الناس فيها من استقباح إلى استحسان لا يغير حُكم الشرع فيها، فلا يصح أن ينقلب الحسن فيها قبيحًا، ولا القبيح حسنًا، حتى يقال مثلاً: إنَّ كشف العورة الآن ليس بعيب ولا قبيح فلنُجزه؛ إذ لو صح مثل هذا لكان الآن نسخًا للأحكام المستقرة، والنسخ بعد موت النبي ﷺ باطل، فرفْع العوائد الشرعية باطل.

أما الثاني: وهي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي، فهذا الذي يُمكن أن تتغيَّر فيه الفتوى، وهو الذي عناه العلماء بقولهم: إن الأحكام المبنية على العُرف والعادة تتغيَّر تبعًا لتغير العُرف والعادة، ومن هنا قال الفقهاء: كل ما ورد به الشرع مطلقًا ولا ضابط له فيه، ولا في اللغة يرجع فيه إلى العُرف ومثلوه بالحرز في السرقة والتفرق في البيع «تغير الفتوى: مفهومه وضوابطه ٥٠ -٥١».

٢- وجود السبب وتحقق الشرط وانتفاء المانع:

وذلك كالأحكام المرتبة على وجود سببها، فإذا وُجِد سبب الحكم وتحقق شرطه وانتفى مانعه، انطبق الحكم على الواقع، فإذا تخلف أحد الشروط أو وجد أحد الموانع انطبق حكم آخر على الواقع.

ومثال ذلك: لو أنَّ رجلاً مَلك نصاب الزكاة، ثم استفتى أهل العلم عن وجوب إخراج الزكاة، فإنَّ المفتي يسأله: هل مرَّ على النِّصاب الحول؟ فلو قال: نعم، وسأله هل عليك دين؟ فقال: لا، هنا يجيبه المفتي بقوله: نعم تجب عليك الزكاة.

ولو عاد هذا السائل بعد فترة، وسأل المفتي: هل عليَّ زكاة؟ فإذا سأله المفتي هل عليك دين؟ وقال: نعم، عليَّ دين يستوعب أكثر مالي حتى لا يبقى منه قدر النِّصاب. هنا يقول المفتي: ليس عليك زكاة.

فالحالة الأولى وُجد السبب وتحقق الشرط وانتفى المانع، وأما الحالة الثانية فقد وجد المانع وهو الدَّيْن، فتغير الحكم تبعًا لذلك، لأنَّ الحكم إذا كان واردًا على سبب خاص فيجب الإفتاء فيه بما يخصه، ولا يَعُمّ.

٣- الضرورة الملجئة

هناك حالات اضطرار يقع فيها المسلم ممَّا يكون معه مضطرًا لفعل ما حرم الله عليه، فالميتة مثلاً محرمة، ولكن إذا اضطر الإنسان إليها أبيحت له؛ قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

ومن ذلك إسقاط عمر رضي الله عنه إقامة حد السرقة عام المجاعة، لأنه غلب على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه.

قال ابن القيم رحمه الله: «وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون، ولا يتميز المستغني منهم والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجبُ عليه الحد بمَن لا يجب، فدُرئ، نعم إذا بان أنَّ السارق لا حاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع». [إعلام الموقعين ٣ / ٢٣].

٢- الوصف أو الاسم

هناك أحكام رُتِّبت على أوصاف أو أسماء، فإذا تغيَّرت تلك الأوصاف أو الأسماء تغيَّر الحُكم تبعًا لذلك.

ومثال ذلك ما فعله أمير المؤمنين رضي الله عنه في سهم المؤلفة قلوبهم، وهم مَن يُعطون من الصدقات لأجل تألف قلوبهم على الإسلام، أو لأجل ضعف المسلمين حتى يأمن المسلمون شرَّهم، فهو حكم مُعلَّق على وصف وليس على أشخاص بأعيانهم، فإذا تحقق هذا الوصف في شخص أو أشخاص أعطيناهم من سهم المؤلفة قلوبهم، وإذا فقدوا الوصف ؛ كأنْ حسُن إسلامهم، أو قوي المسلمون فلم يعد بهم ضعف منعنا سهم المؤلفة قلوبهم، وليس في هذا خروج عن دائرة النص ؛ لأن الله تعالى لما قال: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أثبت لفريق من الناس نصيبًا من الزكاة بوصف معين هو مناط الاستحقاق، فإذا انتفى هذا الوصف انتفى الاستحقاق، لأن الحكم المعلل يدور مع علته وجودًا وعدمًا.

٤- تدافع المأمورات والمنهيات:

قد يكون هناك أمران مطلوب تحصيلهما ولكن لا يُمكن تحصيل أحدهما إلا بتفويت الآخر، فهُما على ذلك متدافعان، كما أنه قد يكون هناك أمران مطلوب اجتنابهما ولا يمكن اجتناب أحدهما إلا بفعل الآخر، فهنا تحصل أعظم المصلحتين، وتدفع أقبح المفسدتين، فمثلاً: الشهادة يُطْلَب فيها العُدُول، فإذا لم نجد العدول صرنا بين أمرين: إما ضياع الحقوق، وإما شهادة غير العدول، وقد أفتى أهل العلم في مثل ذلك أن لكل قوم عُدولهم، وعلى القاضي أن يتوسَّم فيهم ويقبل أكثرهم صلاحًا وأقلهم فجورًا، وواضح أنه إذا وجد العُدول في هذا المكان لم تقبل شهادة غيرهم.

ويمكننا أن نلاحظ مما تقدم أن عملية تغير الفتوى هو تغير خاصٌ من حيث الزمان والمكان والشخص، حيث تتغير فقط بالنسبة للزمان أو المكان أو الشخص الذي تغيَّرت في حقه مُسوِّغات الفتوى، وهذا معناه أن الأمور تكون باقية على ما نُصَّ عليه في بقية الأماكن والأزمان والأشخاص.

ومَرَدّ هذا التغيير إلى:

١- سعة الشريعة ومرونتها.

٢- التيسير ورفع الحرج عن المكلفين.

٣- احتواء المسلمين جميعًا على اختلاف بُلدانهم وأزمانهم، والوفاء بحاجاتهم.

٤- تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ودرء المفاسد عنهم.

٥- التوسعة والرحمة.

٦- إعمال الرخص والاعتبار بالأعذار المبيحة لها، ومُبررات تخفيف الأحكام؛ مِن مرض، وسفر، وخطأ، ونسيان.

ومن هنا جاءت القواعد الفقهية لتقرر أن: «المشقة تجلب التيسير»، و«الضرورات تبيح المحظورات».

٧- فساد الزمان وانحراف أهله عن الجادة، وتغيُّر العادات وتبدُّل الأعراف، وهذا منتزعٌ من قواعد فقهية مثل: «درء المفاسد مقدم على جلب المنافع»، و«لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان»، و«الضرر يزال»، و«الضرر لا يُزال بمثله».

على أن الوصول إلى هذه الدرجة لا يكون إلاَّ من عالم باختلاف العلماء، موسوم بالإنصاف، يعرف الحق، ويرحم الخلق، واسع العلم، بصير بالدين، حسن الفهم والقصد، صاحب صلة بالحياة وما يدور فيها، له دراية بحوائج الناس وهي لا تنتهي، وأعرافهم وهي متعددة، وبيئاتهم وهي متنوعة، والأصل في ذلك أن النبي ﷺ كان يجيب عن السؤال الواحد بأكثر من إجابة، مراعاة لحال مَن سأله واستفتاه، ولقرائن الأحوال التي تَحفّ به، والظروف التي يحياها، وحالات الكمال والنقص عنده، وآية ذلك ما رواه أبو هريرة وأبو ذر وابن مسعود رضي الله عنهم في سؤال النبي ﷺ عن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله ؟ فمرة قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله وحج مرور»، ومرة قال: «الصلاة لوقتها، وبر الوالدين والجهاد في سبيله».

وقد أجاب العلماء على هذه الأحاديث وما يشبهها بأجوبة متعددة منها ما ذكره الحافظ في «الفتح» حيث قال: «ومحصَّل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال، أنَّ الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين، بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو: كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره». [فتح الباري ٢ / ٩].

وعلى هذا: فيجب أن تصدر الفتوى في ضوء المصالح والظروف، والالتفات إلى تعليل الأحكام، ومراعاة القرائن وشواهد الحال، وهي أمور يجب ألا تُهمل، وإلاَّ وقع الناس في خطأ كبير، فلكل حال مُقتضاه، ولكل عصر قضاياه، ومن ثَمَّ وجب الحذر من إنزال قضايا عصر على عصر آخر، أو إنزال قضايا بلد على بلد آخر.

ولهذا أوجب العلماء على من يفتي الناس، معرفة عوائدهم، وعللوا الاختلاف بين فتاوى المتقدمين والمتأخرين باختلاف الزمان والمكان.

وللحديث بقية إن شاء الله

من روائع الماضي

تحقيق سن عائشة رضي الله عنها

يقول صاحب كتاب «الصديقة بنت الصديق»:

«كانت روايات من أقوال الأقدمين تذكر أن النبي عليه السلام خطب السيدة عائشة وهي في السادسة وبنى بها وهي في التاسعة. وكان هذا مجالاً لأعداء الإسلام وأعداء نبي الإسلام يبدئون فيه ويعيدون، ويجدون المستمعين والمتشككين حتى بين المسلمين. فهنا مجال لإطالة الوقوف يعبره أمثال هذا الناقد الحاقد مهرولين ويجهلون ما وراءه من الزور الأثيم والبهتان المبين، وهنا وقفنا بالعقل والنقل لنثبت أن محمداً عليه السلام لم يبن بالسيدة عائشة إلا وهي في السن الصالحة للزواج بين بنات الجزيرة العربية، فأثبتناه على رغم الأقاويل والسنين» (الرسالة ٥٥١ في ٢٤ يناير سنة ١٩٤٤م).

وهذه الروايات التي قال عنها إنها تجهل ما وراءها «من الزور الأثيم والبهتان المبين» هي الروايات الصحيحة التي لا شك في صحة إسنادها والثقة برواتها عن سن عائشة حين زواج رسول الله بها، وأنه عقد عليها وسنُّها ستُّ سنوات، وبنى بها وسنها تسع سنوات، وهي الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد بن حنبل وابن سعد كلهم من حديث عائشة بالأسانيد الثابتة الصحاح، وبالألفاظ الواضحة التي لا تحتمل تأويل المتأولين. ولا لعب العابثين، والتي رواها ابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود وابن سعد من حديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ومصعب بن سعد بن أبي وقاص وابن شهاب الزهري وحبيب مولى عروة بن الزبير. كل هؤلاء الأئمة الثقات الأثبات الذين يروون ويصدقون ما يروون، هم عنده مثلنا «يجهلون ما وراءه من الزور الأثيم والبهتان المبين» ويدركه هو وحده بما أوتي من جراة وتهجم، وبما فقد من بحث وتحقيق، فهو يثبت وينفي «على رغم الأقاويل والسنين» فهو يلعب بالروايات ويحرِّفها كيف شاء ثم يقول: «ولهذا نرجح أنها كانت بين الثانية عشرة والخامسة عشرة يوم زفت إليه» (كتاب الصديقة ص٦٥) ثم ينسى ما اجترحت يداه فيقول (ص٧٨):

«فعائشة البكر التي لم يتزوج النبي بكرًا غيرها قد مات عنها عليه السلام وهي دون العشرين».

«فههنا انفلات من ذلك الجزم» كما قال الدكتور بشر فارس في نقده ص١٩٣.

وهو يبني تحقيقه هذا العجيب على مقدمات اخترع بعضها اختراعا، وحرَّف بعضها تحريفًا منكرًا بالتحوير أو التأويل، ثم يسوق ذلك كله مساق

الحقائق التاريخية الثابتة، شأن الرواة الثقات. ثم لا يذكر شيئًا من الحقائق التي تخالف هواه. فهو يقول:

«وتختلف الأقوال في سن السيدة عائشة يوم زُفّت إلى النبي عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة، فيحسبها بعضهم تسعًا ويرفعها بعضهم فوق ذلك بضع سنوات» (الصديقة ص٦٤).

أما زعمه أن«بعضهم يرفعها فوق ذلك بضع سنوات فإنه قول مبتكر، لم يقله أحد من العلماء، ولم يرد في رواية من الروايات، وإنما يريد أن يتزيد به ويصل إلى بغيته.

وأما جزمه بأن الزفاف كان في السنة الثانية من الهجرة، فإنه اعتمد فيه - فيما أرى - على قول الحافظ النووي في تهذيب الأسماء (ج٢ ص٣٥١): «وبنى بها بعد الهجرة بالمدينة بعد منصرفه من بدر في شوال سنة اثنتين بنت تسع سنين، وقيل بنى بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وهو ضعيف، وقد أوضحت ضعفه في أول شرح صحيح البخاري» هكذا يقول النووي ولكنه نسي، فإنه لم يوضح دليل ضعفه في أول شرحه للبخاري عند شرح الحديث الثاني من الصحيح، في نسختنا المخطوطة عن أصلها العتيق. وهذا الترجيح من النووي في تاريخ الزفاف خطأ صرف. والقول الذي ضعّفه بغير دليل هو الصحيح الراجح. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج٧ ص١٧٦ من طبعة بولاق): «وإذا ثبت أنه بنى بها في شوال من السنة الأولى من الهجرة قوي قول من قال أنه دخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر، وقد وهّاه النووي في تهذيبه، وليس بواه إذا عددناه من ربيع الأول، وجزْمه بأن دخوله بها كان في السنة الثانية يخالف ما ثبت». والدليل على خطأ ما رجحه النووي حديث عائشة نفسها في طبقات ابن سعد (ج٨ ص٣٩، ٤٠): «تزوجني رسول الله ﷺ في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة لثلاث سنين، وأنا ابنة ست سنين، وهاجر رسول الله ﷺ فقدم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وأعرس بي في شوال، على رأس ثمانية أشهر من المهاجر، وكنت يوم دخل بي ابنة تسع سنين».

فالثابت من قول عائشة نفسها أن رسول الله بنى بها في السنة الأولى من الهجرة، في شوال بعد مهاجره في ربيع الأول، بسبعة أشهر على رأس الثامن. وترجيح النووي أن ذلك كان بعد غزوة بدر

إعداد الشيخ العلامة /
أحمد محمد شاكر

في السنة الثانية، ترجيح بغير دليل، والأدلة الثابتة تنفيه.

فحكايةُ الكاتب الجريء قولاً مرجوحًا لا دليل عليه، وإتيانه به في صيغة توهم أنه القولُ الواحد الذي لم يروَ غيره، كأنه قضية مسلمة، إذ يقول: «وتختلف الأقوال في سن السيدة عائشة يوم زُفّت إلى النبي عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة». هذا الصنيع منه لن يكون من الأمانة العلمية في شيء.

ومن هذا النوع من الأمانة قوله (ص٦٤): «فقد جاء في بعض المواضع من طبقات ابن سعد أنها خطبت وهي في التاسعة أو السابعة».

والذي في ابن سعد (ج٨ ص٤٢): «أخبرنا محمد بن حميد العبدي حدثنا معمر عن الزهري وهشام بن عروة قالا: نكح النبي ﷺ عائشة وهي ابنة تسع سنوات أو سبع». وأنا أوقن أن الكاتب الجريء أعرف باللغة العربية من أن يخفى عليه الفرق بين معنى «نكح» وبين معنى «خطب» وأنه لن يغير لفظ إحداهما إلى لفظ الأخرى عن جهل بهما، وإنما يفعل ذاك عن عمد وهو يعرف ما يفعل.

ثم ما باله يدع الروايات الصحيحة المتواترة، ولا يستند إلا إلى الروايات الشاذة أو المنكرة التي تخالف كل رواية صحيحة؟. أمامه الروايات الصحيحة في كتاب ابن سعد وغيره عن الزهري وعن هشام بن عروة وعن غيرهما أن رسول الله ﷺ تزوج عائشة وهي بنت ست سنين، وفي بعضها «سبع سنين» ودخل بها وهي بنت تسع سنين، فما بال هذه الرواية التي لا شك أن راويها أخطأ فيها أو اختصر فأخطأ من روى عنه فهم اختصاره. ولكن الكاتب الجريء يريد شيئًا معينًا، فلا عليه أن يتخيّر من الروايات أضعفها، ولا عليه أن يحرف ألفاظها إلى ما يشاء، لتصل به إلى ما يريد! ثم هو يريد أن يصور للقارئ أن الذي كان في السنة العاشرة من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنوات هو خطبة فقط، يوهم أنه لم يكن هناك زواج، وإن لم يصرح بنفيه.

فيقول (ص٦٣):

«وجرت الخطبة بعد ذلك في مجراها الذي انتهى بالزواج بعد سنوات» ويقول (ص٦٤): «فتمت الخطبة في شوال سنة عشر من الدعوة قبل الهجرة بثلاث سنوات».

ويحرف رواية ابن سعد من كلمة «نكح» إلى كلمة «خطبت» ويقول (ص٦٥): «وإن خطبة النبي التي كانت في نحو السنة العاشرة للدعوة».

ويقول في (الرسالة) في الكلمة التي اقتبسناها أول مقالنا هذا: «كانت روايات من روايات الأقدمين تذكر أن النبي عليه السلام خطب السيدة عائشة وهي في السادسة إلخ».

وهو يعرف كما يعرف المسلمون جميعًا، عالمهم وجاهلهم، ذكيّهم وغبيّهم، أن الخطبة عند المسلمين غير الزواج، وأنهما غير الزفاف والدخول! ولكن هكذا يكون الكاتب الجريء.

وأعجب من هذا كله، وأشد جرأة على الحق، وأشد تهجمًا على سيرة رسول الله، وأسوأ أثرًا على الجريء فيما قال وكتب، وفيما يقول أو يكتب، أن يقول (ص٦٤): «فقد جاء في بعض المواضع من طبقات ابن سعد أنها خطبت وهي في التاسعة أو السابعة، ولم يتم الزفاف كما هو معلوم إلا بعد فترة بلغت خمس سنوات في أشهر الأقوال»!

أما القول الذي يصفه بأنه «أشهر الأقوال» فإنه لم يقله أحد قط، ولم يُرْوَ في كتاب من كتب السنة أو السيرة أو التاريخ، هذا إلى محاولة تصوير هذه الفترة بأنها فترة خطبة لا فترة زواج قبل البناء، ثم هو يصر على ما ادعى إصرارًا عجيبًا لم يأت عليه ببرهان.

فيقول ما نقلنا من قبل: «وجرت الخطبة بعد ذلك في مجراها الذي انتهى بالزواج بعد سنوات».

ويقول (ص٦٤ - ٦٥): «إذ لا يعقل أنها - يعني خولة بنت حكيم - تشفق من حالة الوحدة التي دعتها إلى اقتراح الزواج على النبي، وهي تريد له أن يبقى في تلك الحالة أربع سنوات أو خمس سنوات أخرى»!

ومن أين يأتي بالخمس السنوات ويدعي أنها أشهر الأقوال؟

والأقوال كلها متضافرة على أنها ثلاث سنوات والشهور محدودة فيها بينة؟ يتمسك بالروايات الصحيحة التي فيها أن الزواج كان قبل الهجرة بثلاث سنين، ثم يجزم بالرواية الضعيفة أن الزفاف كان في السنة الثانية من الهجرة، ثم لا يجد مناصًا من قواعد الحساب أن الثنتين إذا أضيفتا إلى الثلاث كان الجميع خمسًا من غير تردد.

فقد سلم له قوله ووصل إلى ما أراد. ولكنه نسي أو تناسى أن الروايات كلها تذكر أن بين الزواج والزفاف ثلاث سنين فقط، وأنها حُددت بالشهور من شوال إلى شوال، وأنهم كثيرًا ما يذكرون عدد السنين ويجبرون فيها الكسور، فتقول عائشة ما روينا من قبل: إن رسول الله تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي تريد سنتين وكسرًا إذ حدَّدت التاريخ بالشهور: أن الزواج كان في شوال سنة عشر من النبوة، وأنه قدم المدينة في ١٢ربيع الأول، وهي السنة الأولى من الهجرة، وأنه دخل بها في شوال من السنة نفسها على رأس ثمانية أشهر، وأنه تزوجها وهي بنت ست سنين ودخل بها وهي بنت تسع. فهذا حسابها صحيحًا من شوال قبل الهجرة بثلاث إلى شوال في سنة الهجرة، ثلاث سنين كوامل، لا تحتمل تزيدًا ولا تحويرًا، فأين هذا الحق من ذاك الصنيع؟

ثم يزداد الكاتب الجريء جرأة، فيذهب يحتال حيلة غريبة في التأول، يفتعلها افتعالًا، يزعم أنه ينصر رأيه، ويقيم حجته، فيقول (ص٦٥):

«ويؤيد هذا الترجيح من غير هذا الجانب أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها إلى النبي، وأن خطبة النبي كانت في نحو السنة العاشرة للدعوة.. فإما أن تكون قد خطبت لجبير بن مطعم لأنها بلغت سن الخطبة وهي في قرابة التاسعة أو العاشرة، وبعيد جدًا أن تنعقد الخطبة على هذا التقدير مع افتراق الدين بين الأسرتين. وإما أن تكون قد وعدت لخطيبها وهي وليدة صغيرة كما يتفق أحيانًا بين الأسر المتألفة، وحينئذ يكون أبو بكر مسلمًا عند ذلك، ويستبعد جدًا أن يعد بها فتى على دين الجاهلية قبل أن تتفق الأسرتان على الإسلام. فإذا كان أبو بكر - رضي الله عنه - وعد بها ذلك الوعد قبل إسلامه، فمعنى ذلك أنها ولدت قبيل الدعوة وكانت تناهز العاشرة يوم جرى حديث زواجها وخطبها النبي عليه السلام».

هكذا ينقل الكاتب الجريء ويتأول. واحفظوا عليه قبل كل شيء إصراره على أن الذي كان في السنة العاشرة للدعوة خطبة لا زواج، وإن لم ينف الزواج صراحة ولكنه يوقعه في نفس القارئ ويقنعه

به إقناعًا من لحن القول «يوم جرى حديث زواجها وخطبها النبي عليه السلام».

والقصة التي يشير إليها ويحاول أن يصبغها بصبغة رأيه، هي قصة مطولة في زواج النبي ﷺ بسودة بنت زمعة وبعائشة رضي الله عنهما. رواها أحمد بن حنبل في مسنده (ج٦ ص٢١٠، ٢١١) ونقلها عنه الحافظ ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية ج٣ ص١٣١ - ١٣٣) وأشار إلى رواية مثلها عند البيهقي مؤيدة لإسنادها. وهذا الحديث فيه قصة وعد أبي بكر بابنته لمطعم بن عدي على ابنه جبير، وخطبة النبي إياها وزواجه بها، ثم زفافها إليه بعد قدومهم المدينة. وهذا موضع الشاهد منه: «قالت أم رومان - زوج أبي بكر لخولة بنت حكيم التي كان لها فضل السعي في هذا الزواج -: إنَّ مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعدًا قط فأخلفه، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي. فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصْبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم ابن عدي: أقولَ هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده. فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله، فدعته فزوَّجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين... قالت عائشة فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح. قالت: فجاء رسول الله فدخل بيتنا، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين ترجح بي، فأنزلتني من الأرجوحة، ولي جُميمة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي، فإذا رسول الله جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجره، ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنساء فخرجوا، وبنى بي رسول الله في بيتنا، ما نُحرت عليَّ جزور، ولا ذبحت عليَّ شاة.. وأنا يومئذ بنت تسع سنين».

هذه هي القصة التي يحاورها الكاتب الجريء ويداورها. ويلعب بها ويعبث، يستنبط منها. وما رأينا فيما قرأنا أشد جراة على الحق، ولا إيغالاً في الباطل، ولا لعبًا بالألفاظ والمعاني، ولا تحريفًا للكلم عن مواضعه، مما صنع هذا الرجل.

حديث صريح اللفظ، بيّن المعنى، يفسره هذا الكاتب الجريء على أن يدل على ضد لفظه الصريح ومعناه الواضح، فلا يأتي بالحديث على وجهه، بل يصرفه على لفظ من عنده، يُخدع به القارئون، فلا يدركون ما وراءه. ثم يبني استنباطه على غير علم بعادات العرب، وعلى غير معرفة بأحكام الشرع. فهو يقول ما حكينا من قوله، ويصر عليه إصرارًا منكرًا فيما قرأنا له الآن (في العدد ٥٥٩) من الرسالة المؤرخ يوم الاثنين ٢٠ مارس إذ يقول:

«وبحسبنا أن نعلم أن عائشة خطبت قبل خطبتها للنبي، وأن الذي خطبت له كان من المشركين، بحسبنا أن نعلم هذا لنعلم أنها خطبت قبل الدعوة الإسلامية وأن أبا بكر لن يزوج بنته بعد الدعوة الإسلامية لرجل يكفر بدينه، وهو البرهان الراجح على أنها حين خطبت لمحمد عليه السلام وبنى بها بعد الخطبة بسنوات قد كانت في سن صالحة للزواج».

وليحفظ عليه القارئ أيضًا أنه فعل هنا ما فعل من قبل، فلم يأت بذكر لعقد الزواج بين رسول الله وبين عائشة، بل ساق القول من الخطبة إلى البناء، كما نبهنا عليه آنفًا، إذ هو لا يريد أن يعترف بعقد عُقدة النكاح في السن المبكرة. ثم نعود إلى ما نحن بسبيله:

بنى هذا الكاتب الجريء كل دعواه في هذا الحديث، وكل استنباطه منه على شيء واحد، يستبعده جدًا في كتابه (ص٢٦٥) وينفيه نفيًا باتًا في مقاله (الرسالة٥٥٩) وهو أن أبا بكر «لن يزوج بنته بعد الدعوة الإسلامية لرجل يكفر بدينه». وهو يخطئ في هذا جدًا، فإن لفظ الحديث الذي سقناه يدل على أن أبا بكر كان عند وعده للمطعم بن عدي إن استمسك به المطعم، وأنه ذهب إليه لعله يجد من وعده مخرجًا، ففجاته أم الصبي بخشيتها أن يؤثر على ابنها إن هو تزوج عائشة فيدخله في دينه الذي هو عليه، وهو الإسلام.

فلم يجد أبو بكر من اختلاف الدين أو تخوُّف أم الصبي مخرجًا من عدته، فسأل الرجل، وهو ولي ابنه الصبي في التزويج، ليرى أيُقِرُّ زوجه على قولها، فلما وافقها الرجل وجد أبو بكر المخرج من وعده «فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعد». وإنما أوقع الكاتب الجريء في هذا الخطأ وأوهمه، معرفته أن زواج

المسلمة بغير المسلم زواج باطل لا ينعقد، وأن المسلم إذا ارتد عن الإسلام فسخ عقد زواجه بزوجه المسلمة، وأن غير المسلمة إذا أسلمت وكانت ذات زوج عرض على زوجها الإسلام، فإن أبى أن يسلم فُرِّق بينهما. وهذه أحكام يعرفها العامة والخاصة، فبنى عليها أنه «بعيد جدًا أن تنعقد الخطبة مع افتراق الدين» وأنه «يستبعد جدًا أن يعد بها فتى على دين الجاهلية قبل أن تتفق الأسرتان على الإسلام» وأنها «خطبت قبل الدعوة الإسلامية، وأن أبا بكر لن يزوج بنته بعد الدعوة الإسلامية لرجل يكفر بدينه». ولكنه لم يعلم أول هذا التحريم لزواج غير المسلم بالمسلمة، ولم يدرك مبدأ أمره، أكان في أول الإسلام حتى يطبق في هذه الواقعة في وقتها، أم هو تشريع تأخر عنها، فلا يطبق عليها، ولا يستدل به فيها.

ألا فليعلم الكاتب الجريء أن زواج المسلمة بالمشرك كان جائزًا وواقعًا في أول الإسلام، على عادة القبائل والأسر من التزاوج والمصاهرة، وأنه لم يحرمه الله تعالى إلا بعد صلح الحديبية، في أواخر السنة السادسة من الهجرة، لما نزل قوله تعالى في سورة الممتحنة: «﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾» [الممتحنة: ١٠].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (ج٨ ص٣٢٣ طبعة المنار): «هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد كان جائزًا في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها، وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها... فاطلقه رسول الله على أن يبعث إليه ابنته، فوفى له بذلك... وبعثها مع زيد بن حارثة، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر، وكانت سنة اثنتين، إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان فردها عليه». وليس بعد هذا البيان بيان. وما إخال أن للكاتب الجريء حيلة في أن يجادل فيه، وهو ينقض كل ما بنى عليه استنباطه أو تحريفه.

وليعلم الكاتب الجريء أيضًا أن كل ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من «قول أو فعل أو تقرير» هو عند المسلمين من «الحديث» وأنه لا يجوز لأحد أن ينسب إلى الرسول شيئًا من هذا إلا عن ثقة وثبت، وبإسناد صحيح، على النحو الذي قام به أئمة الحديث ووضعوا له القواعد والقيود، في فن واسع المدى، لعله قد سمع به، وأنه لايعذر أحد في التحدث عن رسول الله بغير ثبت، لقوله عليه السلام: «مَن حدَّث عني بحديث يُرى أنه كَذِبٌ فهو أحَدُ الكاذبين». [رواه مسلم في مقدمة صحيحه]. وأن العمد إلى التحدث عنه بما ليس بصحيح من أعظم الآثام، لقوله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» [حديث متواتر في الصحيحين وغيرهما عن جمع من الصحابة].

فليعد نظرًا على ما قدمت يداه في هذه المسألة بعينها، يَجدْ أنه أنكر الصحيح الثابت الذي لا خلاف فيه عند المحدثين وغيرهم، أن رسول الله تزوج عائشة قبل الهجرة وهي في السادسة أو السابعة من عمرها ودخل بها في المدينة بعد ثلاث سنين من الزواج، وأنه لكي يصل إلى تأييد إنكاره، وتأييد دعواه أنها كانت بين الثانية عشرة والخامسة عشرة يوم زُفَّت إلى النبي، اضطرَّ إلى تحريف ألفاظ الأحاديث، وإلى تحريف معناها، وإلى سَوْق الكلام من الخطبة إلى الزفاف، خشية أن يذكر عقد الزواج قبل الهجرة فيكون حجة على نفي ما أراد إثباته وإثبات ما أراد نفيه، حتى لقد كاد يزلُّ به قلمهُ إذ يقول:

«وجرت الخطبة بعد ذلك في مجراها الذي انتهى بالزواج بعد سنوات» (كتاب الصديقة ص٦٣).

فإنه يوهم القارئ، وإن لم يصرح الكاتب، أن الذي كان في مكة قبل الهجرة لم يكن فيه زواج، وأنه انتهى بالزواج بعد سنوات، يعني في المدينة، ولكنه لم يستطع أن يكون جريئًا كما يريد، فخشي أن يدعي أن هناك زواجًا كان بالمدينة، لئلاً يكشف للناس عن فساد قوله، ووهْي أدلته. وإن هو أنكر علينا هذا فليقل لنا كلمة صريحة: متى تزوج رسول الله عائشة، أعني العقد لا الخطبة أكان ذلك قبل الهجرة حين خطبها على أبيها، أو كان بعد الهجرة حين بنى بها؟ ويجد أنه حرَّف عن عمد كلمة «النكاح» التي هي الزواج إلى كلمة «الخطبة». وأنه جاء إلى أبين حديث وأصرحه في الدلالة على سن عائشة، وهو القصة التي فيها سعي خولة بنت حكيم، فحرَّفه بالتأويل المنكر، ليستدل به على ضدِّ ما يدلُّ عليه لفظه الصريح، أنها تزوجت بنت ست سنين وزفت بنت تسع، وأن أمها أخذتها يوم الزفاف من أرجوحة كانت تلعب بها بين النخيل. ويجد أنه ادَّعى أنَّ هناك

من يرفع سن عائشة فوق التسع بضع سنوات، ولم يقل ذلك أحد. وأنه ادعى أن الزفاف لم يتم إلا بعد فترة بلغت خمس سنوات في أشهر الأقوال، ولم يوجد قط قول بهذا، فضلاً عن أن يكون أشهر الأقوال. ويجد أنه كان يجهل حكم الزواج بين المسلمة والمشرك في صدر الإسلام، وأنه تحدث فيه بغير علم. ويجد أنه فوق هذا كله جمح به قلمه، فوصف هذه السنن الصحاح بأنها «من الزور الأثيم والبهتان المبين» حين زعم أننا نجهل ما وراء روايات الأقدمين. وليت شعري بِمَ يصف عمله في التحريف والتحوير والقول على رسول الله بما لم يأت عليه ببرهان، وفخر بأنه أثبتهُ «على رغم الأقاويل والسنين»؟

ثم ليعلم أيضًا أن السنة النبوية «من قول وعمل وتقرير» مصدر عظيم للتشريع الإسلامي، وهي المصدر الثاني بعد القرآن، وهي المفسرة له المبينة، كما قال الله لنبيه: «﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾» [النحل: ٤٤] وأن هذه الأحاديث التي أنكرها بتحريفه وتأويله، وأثبت ضد ما ثبت فيها «على رغم الأقاويل والسنين» فيها دلالة على أحكام شرعية خطيرة الأثر، منها جواز تزويج الصغيرة للكبير، ومنها أن الصغيرة يلي أمر تزويجها وليّها إذ هي لا تملك أمر نفسها، ومنها أن البناء بالصغيرة جائز حلال، إلى غير ذلك من الأحكام، وأن إنكاره ما فيها إنكار لكل ما يستنبط منها بالطريق العلمي في الاستنباط، ونسبة شيء إلى رسول الله لم يثبت بالطريق الصحيح للإثبات، بل ثبت ضده ونقيضه. فإن لم يدرك هذا كله فقد أبلغناه، وما علينا من وزره من شيء.

وبعد: فما الذي دفع به إلى هذه المضايق، وأورده هذه الموارد وأقحمه؟ يظن أنه يسوغ عمله إذ يقول: «ذلك هو التقدير الراجح الذي ينفي ما تقوله المستشرقون على النبي بصدد زواج عائشة في سن الطفولة الباكرة» (كتاب الصديقة ص٦٦) ويقول: «وإنما عنانا أن نبطل قول القادحين في النبي أنه عليه السلام بنى ببنت صغيرة لا تصلح للزواج، وقد أبطلنا ذلك بالأدلة التي لا نكررها هنا» (الرسالة في العدد ٥٥٩). هذا عذره الظاهر لنا من كلامه. وليس لنا أن نخوض فيما وراءه.

ولكن أهذا هكذا؟ قال مستشرق، أو طعن مبشر، أو قدح ملحد، فقال أحدهم ما شاء من قدح في عمل بعينه، أفترى أنت هذا العمل معيبًا يجب التبرؤ منه، أم تراه جائزًا لا شيء فيه ولا غبار على من يعمله، وأن العائب إنما ينظر إليه من ناحية غير صحيحة، وبعين مغرضة ليست بريئة؟ أفلا ترى أنك إذا نفيت هذا العمل وأنكرته فقد رأيته معيبًا كما رأى العائب، وقادحًا كما فعل القادح، فما حاجتك إلى التستر وراءه، وماذا يمنعك أن تصرح بأن هذا العمل غير جائز، وأنك توافق في استنكاره من سبقك من المستشرقين؟

هذا هو الطريق المنطقي للبحث العلمي، العالم لا يدافع عن نظرية علمية ولا ينصرها إلا إذا رآها رأيه والتزمها قوله. ثم ألم يكن الأجدرُ بالكاتب الجريء أن يصنع ما يصنع الرجالُ، فيصرح بإنكار كل الأحاديث التي فيها سن عائشة وينقدها على طريقة المحدثين فيبين ضعف أسانيدها وبطلان روايتها إن استطاع، فذلك خير له من تأويلها وتحريفها والتزيد فيها، ثم مناقضته نفسه بالاحتجاج ببعض ألفاظها على أسلوب عائشة المرسل السهل الجزل الفصيح (ص٥٧، ٥٨) كما استدرك عليه الدكتور بشر في نقد كتابه.

وبعدُ مرة أخرى: فإن شريعتنا شريعة الإسلام أباحت تزويج البنات الصغار، وجعلت تزويجهن للأولياء، بدليل زواج النبي ﷺ بعائشة وبنائه بها وهي دون العاشرة، وبدليل قول الله تعالى في سورة الطلاق «﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾» [الطلاق: ٤]. فاللائي لم يحضن هن الصغيرات اللائي لم يأتهن الحيض وهنّ دون البلوغ، عليهنّ عدّة ثلاثة أشهر إذا طلقن، ولا يكون طلاق وعدة إلا بعد زواج، أليس كذلك؟ فمن رضي هذه الشريعة لم ينكر ولم يعبأ بقول العائبين المغرضين، ومن أبى «﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾» [يونس: ٩٩].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

المسجد الحرام أول بيوت الله في الأرض

يقول الله تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

من هدي رسول الله ﷺ

في المناسك اتباع سنّته

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة وهو على بعيره وهو يقول: «يا أيها، الناس خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا». [سنن النسائي].

من الخير التعجيل بالحج

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من أراد الحج فليعجل. وفي رواية قال ﷺ: تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له. [مسند أحمد].

رفع الصوت عند التلبية

عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أتاني جبريل فقال لي: إن الله يامرك أن تامر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج». [صحيح الجامع].

من آداب الطواف

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير». [الترمذي].

أخلص النية لله في الحج

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة». [صحيح الجامع].

فضل الصلاة في المسجد الحرام

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه». [مسند أحمد].

آداب زيارة المدينة

لا شك أن الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ وزيارة قبره من أفضل القربات، لكنها ليست من أعمال الحج ولا من مناسكه كما يظنه بعض الناس، فمن زار قبر النبي ﷺ فليسلم على رسول الله ﷺ عند قبره، ثم يسلم على أبي بكر، ثم على عمر، رضي الله عنهما، ثم ينصرف، ثبت ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما.

إعداد/ علاء خضر

حكم ومواعظ

عن سفيان بن عيينة قال: قيل لمحمد بن المنكدر: أي العمل أحب إليك ؟ قال: إدخال السرور على المؤمن.

وقال سفيان: إن من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة.

وقال بشر بن الحارث: من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف.

عن مكحول قال: أرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً.

[صفة الصفوة]

الوقوف بعرفة عتق من النار

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء. [صحيح مسلم].

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة و أفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. [الترمذي].

فضل العشر من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في الأيام العشر أفضل من العمل في هذه». قالوا: ولا الجهاد ؟ قال: (ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء). [البخاري].

فضل صيام يوم عرفة !

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة». [صحيح مسلم].

للمضحي أحكام

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة و أراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره». [صحيح مسلم].

من أسباب قبول الأضحية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من باع جلد أضحيته فلا أضحية له. [صحيح الجامع].

من سنن العيد

عن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يخرج إلى العيدين ماشياً ويصلي بغير أذان ولا إقامة ثم يرجع ماشياً من طريق آخر. (صحيح الجامع).

الصحابة «رضي الله عنهم»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من المحبة والولاء للصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم وحماية حياضهم وقدرهم، فالدفاع عنهم دفاع عن رسول الله ﷺ، فهم بطانته وخاصته، ودفاع عن دين الإسلام فهم حملته ونقلته.

إن الهجمة الشرسة والحملة المسعورة من الأقلام المأجورة على الصحابة الكرام والتطاول عليهم والطعن في أعراضهم عبر وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها لهي سلسلة متصلة الحلقات بين أعداء اليوم من الشيعة وبين أسلافهم من اليهود والصليبيين، وإن الأهداف الخبيثة من وراء ذلك واضحة معلومة، وهي تجريح شهادة الصحابة والطعن في عدالتهم، ومن ثَمَّ التشكيك في الكتاب والسنة ؛ إذ أن الصحابة هم نقلة هذين الأصلين لدين الله عز وجل وكذلك إثبات عجز الإسلام عن الصمود للتجربة والتطبيق، وإثبات عدم صلاحيته في هذا العصر.

ولكن هيهات هيهات أن ينال هؤلاء الصغار الأغمار من الصحابة الأخيار، فهم بحمد الله مصابيح الدجى وشموس الهدى وإن رغمت أنوف الحاقدين: «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ» [التوبة: ٣٢].

فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة، من الإيمان والإسلام، والقرآن، والعلم، والمعارف، والعبادات، وانتصار على الكفار، وعلو الكلمة، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله ورسوله فللصحابة رضي الله عنهم فضل عليه إلى يوم القيامة، وإليك أخي القارئ طرفًا من فضائلهم وشمائلهم التي تفوق الحصر:

منزلة الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم العالية

تضافرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون على الإطلاق، لما لهم عند الله من المنزلة العالية والمكانة السامية، فقد مدحهم ربهم وزكاهم من فوق سبع سماوات ومدح من اتبع سبيلهم وسار على هديهم، وذم من خالفهم، وكل ذلك يؤكد وجوب الاقتداء بهم رضوان الله عليهم.

الأدلة من القرآن

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- قول الله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ» [التوبة: ١٠٠].

قال ابن كثير - رحمه الله -: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم في الجنة من النعيم المقيم.

قال الشوكاني - رحمه الله -: ومعنى «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ» الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم فمن بعدهم إلى يوم القيامة. (فتح القدير ٢ / ٣٩٨).

وقال السعدي - رحمه الله - عند قوله: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ» بالاعتقادات والأقوال والأعمال فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح وأعظم الكرامات من الله.

٢- قال الله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» [الفتح: ١٨].

قال أبو محمد بن حزم - رحمه الله تعالى -: «فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، والشك فيهم البتة». (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٤٨).

- وصدق عليهم قول عائشة الصديقة - رضي الله عنها -: «أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم». (أخرجه مسلم).

٣- قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣].

فقد جعلهم الله تبارك وتعالى أفضل الأمم وأعدلها في العقيدة والقول والعمل فاستحقوا بذلك أن يكونوا

قادة الأمة وقدوتها

إعداد/ معاوية محمد هيكل

شهداء على الناس، فإذا كانت شهادتهم عند الله مقبولة فلا شك أن فهمهم لنصوص الشريعة حجة على من بعدهم، لذلك أمر رب العزة باتباع سبيلهم، فقال: «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» [لقمان: ١٥]، وجيل الصحابة خير من أناب إلى الله واستجاب، فوجب اتباع سبيلهم في فهم دين الله تبارك وتعالى، ولذلك هدد الله تعالى وتوعد من اتبع غير سبيلهم بجهنم وبئس المصير، كما ظهر ذلك في قوله تعالى: «وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» [النساء: ١١٥].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق والشرع في شق عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح، وقوله: «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ»، هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم». انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لأنه مستلزم للآخر.. فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ومن شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضًا، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعًا، والآية توجب ذم ذلك». (مجموع الفتاوى: ١٩ / ١٩٣، ١٩٤).

٥- قال تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الفتح: ٢٩].

فقد وصف الله عز وجل الصحابة بأكمل الصفات وأجمل السمات فهم مجتهدون في نصرة دين الله عز وجل وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وهم كذلك متحابون متراحمون كالجسد الواحد، كما مدحهم ظاهرًا فقال: «تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا»، ومدحهم باطنًا فقال: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا»، ومدحهم قبل أن يخلقوا فقال: «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ»، وهذه أيضًا صفة للطائفة المنصورة أهل الحديث الذين اقتفوا أثر جيل القدوة الأول محمد ﷺ وصحبه.

«لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ»، وتعمد إغاظة الكفار يوحي بأن هذه الطائفة هي غرس غرسه الله وتعهده رسول الله ﷺ بالتربية، فهي من دلائل قدرة الله ؛ لأنها أداة لإغاظة أعداء الله الذين يعملون على إطفاء نور الله، وإخماد جذوته في نفوس المسلمين، ولكن الله متم نوره ولو كره المشركون، ومظهر دينه، ولو كره الكافرون، ولذلك ترى أهل البدع يعادون أهل الحديث في كل عصر ومصر.

٦- وقال تعالى: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: ١٣٧].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول الله تعالى: «فَإِنْ آمَنُوا» يعني: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، «بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ» يا أيها المؤمنون، والإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، «فَقَدِ اهْتَدَوْا» أي: أصابوا الحق وأرشدوا إليه». انتهى.

والآية أيضًا تتناول كل من جاء بعد جيل الصحابة إلى عصرنا لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم عند علماء الأصول والتفسير، فإنه يجب عليهم أن يتبعوا ما كان عليه الأوائل من الصحابة في تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

حتى يحصل لهم الهداية.

الأدلة من السنة النبوية

بيَّن النبي ﷺ أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم الجماعة، وهي ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فقد ثبت عند ابن ماجه في سننه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة: واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار». قيل: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: «الجماعة». (صحيح ابن ماجه ٢ / ٣٦٤).

قال أبو شامة: وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيرًا لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم. (الباعث على إنكار البدع ص٢٢).

وثبت عند أبي داود من حديث العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». (رواه أبو داود وصححه الألباني).

قال ابن حبان في «صحيحه» (١ / ١٠٤) في قوله ﷺ: «عليكم بسنتي» إنه بيان واضح أن من واظب على السنن، وقال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء، كان من الفرقة الناجية يوم القيامة، جعلنا الله منهم بمنة وكرمه.

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: «فلا أدري قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا». (رواه البخاري ومسلم).

الصحابة أمان للأمة

عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». (رواه مسلم).

وفي الحديث فوائد:

١- إذا كانت النجوم قد جعلها الله رجومًا للشياطين في استراق السمع، فإن الصحابة رضي الله عنهم زينة هذه الأمة كانوا رصدًا لتاويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين، الذين اتبعوا أهواءهم.

٢- وإذا كانت النجوم كذلك منارًا لأهل الأرض يهتدون بها في البر والبحر، فكذلك الصحابة رضي الله عنهم يقتدى بهم للنجاة من ظلمات الشبهات والشهوات، فمن أعرض عن فهمهم فهو في غيه يتردى في الظلمات ليس بالخارج منها.

٣- فهم الصحابة للقرآن والسنة تحصين من بدع شياطين الإنس والجن، الذين يبتغون الفتنة ويبتغون تأويلها: ليفسدوا فهم مراد الله ورسوله فكان فهم الصحابة حرزًا من الشر وأسبابه.

٤- فيه أن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم وانقضاء جيلهم يعقبه ظهور البدع والحوادث في الدين، وقد كان، وهذا كله من دلائل صدق نبوته ﷺ. (باختصار من المنهج السلفي للهلالي).

ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن سبهم، فقال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم أو نصيفه». (رواه مسلم).

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله من سب صحابي». (صحيح الجامع ٥١١١).

أقوال سلف الأمة

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة، يعني مع النبي ﷺ، خير من عمل أحدكم عمره. (رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه).

٢- وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: «والله لمشهد رجل منهم - يعني الصحابة مع رسول الله ﷺ - يُغبَّر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح، ثم قال متوعدًا من يبغضهم أو يسبهم: لاجرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله ألا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة والشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم». (رواه الترمذي وأبو داود).

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان.

٤- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه. (أخرجه البخاري).

٥- قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما لهم ولما لمعاوية، نسأل الله العافية، وقال لي: يا أبا الحسين إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام. (حكم سب الصحابة لابن تيمية).

٦- وقال الحارث بن عتبة: «إن عمر بن عبد العزيز أتيَ برجل سب عثمان، فقال: ما حملك على أن سببته ؟ قال: أبغضه، قال: وإن أبغضت رجلاً سببته. قال: فأمر به فجلد ثلاثين سوطًا». (حكم سب الصحابة ٢٣).

٧- عن طارق بن شهاب رحمه الله قال: كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك. (أخرجه أحمد).

شهادة علي رضي الله عنه بخيرية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

عن محمد ابن الحنفية (وهو محمد بن علي بن أبي طالب، رحمه الله) قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من ؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت ؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. (رواه البخاري).

فإذا كان علي رضي الله عنه يقول هذا وهو في زمان خلافته: أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، فقد أدحضت حجة الرافضة، وأخرست كل الألسنة.

الصحابة كلهم عدول

والطعن فيهم طعن في الرسالة والرسول ﷺ، فمن طعن في الصحابة فقد طعن في دين الله وشرعه لأن الصحابة هم شهودنا مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال الخطيب البغدادي رحمه الله: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن.

ثم حكى الإجماع على ذلك بقوله: «هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء». (الكفاية في علم الرواية ص٩٣).

قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أوْلى وهم زنادقة». (الكفاية ص٩٧).

القول المرضي في أصحاب النبي ﷺ

قال الإمام أحمد رحمه الله في السنة (ص٧١): «ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وأصحاب رسول الله هم خير الناس».

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: ونحن نحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

النجاة في اتباع منهجهم والسير على طريقتهم

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. (جامع بيان العلم ٢ / ٢٤٧).

وقال الأوزاعي رحمه الله: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم. (شرح أصول الاعتقاد ١ / ١٥٤).

وقال أيضًا: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول. (الشريعة للآجري ص٥٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا. (التفسير الكبير ٢ / ٢٢٩).

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله في «الصارم المنكي» (٤٣٧): لا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه، ولا بينوه للأمة.

وصدق مالك رحمه الله حيث قال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. أولئك آبائي فجئني بمثلهم.

والحمد لله رب العالمين.

المنهج الإسلامي

الحلقة الحادية والعشرون (الأخيرة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ذكرنا أن الوحي نزل بتبرئة أم المؤمنين عائشة، بعد شهر كامل من خوض الخائضين في حديث الإفك، فأنزل الله تعالى القول الفصل الذي جلَّى المواقف المتباينة، وأظهر خبيء الأنفس، وأرشد ووعظ المؤمنين مبينًا لهم ماذا كان ينبغي إزاء هذا البهتان العظيم، ومحذرًا من الانسياق خلف المنافقين والشياطين الذين لا همَّ لهم إلا محبة إشاعة الفاحشة بين مجتمع المؤمنين.

ثم بدأنا في وقفات مع الآيات العشر التي أنزلت في حديث الإفك، ونستأنف الحديث بإذن الله.

«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [النور: ١١].

عصبة منكم: في مصحف حفصة «عصبة أربعة» (وهي تفسير لعدد العصبة، إذ كان بعض الصحابة يضع المعنى التفسيري فوق الكلمة في مصحفه الخاص به ليتذكره).

- لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم: جزاء ما اجترح من الذنب وعلى قدر ما خاض فيه، وهذا وعيد للذين جاءوا بالإفك، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا من ذلك، وقد حدَّ النبي ﷺ منهم جماعة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل عذري، قام النبي ﷺ على المنبر، فذكر ذلك وتلا - تعني القرآن - فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدَّهم. (صحيح سنن أبي داود).

لماذا لم يحدَّ عبد الله بن أبي بن سلول؟

لأن الله تعالى أعدَّ له في الآخرة عذابًا عظيمًا، فلو حُدَّ في الدنيا لكان ذلك نقصًا من عذابه في الآخرة وتخفيفًا عنه، وإنما حُدَّ المسلمون ليكفر عنهم إثم ما صدر منهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك في الآخرة.

ويحتمل أن يقال: إنما ترك حد ابن أبي استئلافًا لقومه واحترامًا لابنه، وإطفاءً لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك، وقد كان ظهر مبادئها من سعد بن عبادة ومن قومه لما خطب النبي ﷺ وقال للناس: «من يعذرني في رجل آذاني في أهلي...» الحديث، كما في صحيح مسلم.

يقول القرطبي في تفسيره: المشهور أن الذي حُدَّ حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد لعبد الله بن أبي، وهو الذي تولى كبره (معظم الإفك)، فجزاؤه الخلود في الدرك الأسفل من النار.

والله تعالى جعل الخطاب في الآيات عامًا لكل المؤمنين، وأخبر سبحانه أن قدح بعضهم ببعض، كقدح في أنفسهم.

وفي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى. (متفق عليه، وهذه رواية مسلم).

فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، فليكره من كل أحد أن يقدح في أخيه المؤمن الذي بمنزلة نفسه.

«لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ» [النور: ١٢].

لولا إذ سمعتموه: هذا عتاب من الله تعالى للمؤمنين في ظنهم، فكان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد فيهم، فذلك في عائشة وصفوان رضي الله عنهما أبعد، ولولا حرف تحضيض يتضمن معنى الزجر والتوبيخ، وهذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين الذين خاضوا في ذلك الكلام السيئ.

قال ابن كثير في تفسيره: وقد قيل: إنها نزلت (الآية) في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما، كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك...

- ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا: بإخوانهم قاسوا (وذلك من قياس الأَوْلى) ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين عائشة أولى بالبراءة بالأحرى، فأوجب الله تعالى على المسلمين إذا سمعوا رجلاً يقذف أحدًا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به، أن ينكروا عليه ويكذبوه، فلبسة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع إذا كان أصله فاسدًا أو مجهولاً، فالمؤمنون كنفس واحدة، وذلك نظير قوله تعالى: «وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» [النساء: ٢٩]، وقوله تعالى: «فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ» [النور: ٦١].

- «وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ»: فإن الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن مجيء عائشة رضي الله عنها راكبة

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو كان الأمر فيه ريبة لم يكن فيه جهرة، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان هذا يكون - لو قدر - خفية مستورا، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور.

فبراءة أمنا رضي الله عنها أمر بدهي لدى كل منصف لديه مسكة عقل، فعائشة على قدرها ورجاحة عقلها لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام جيش في وضح النهار، مع رجل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم الصادق في هذا المقام من غضب النبي ﷺ وغضب المسلمين وغضب الله تعالى، فتلك خلة تترفع عنها من هي أقل من عائشة رضي الله عنها منزلة وخلقا وأنفة.

- «لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ» [النور: ١٣].

وهذا توبيخ لأهل الإفك، لولا بمعنى هلا، أي: هلا جاءوا عليه بأربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء، وهذا فيه إحالة على الآية السابقة في القذف، وهو قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [النور: ٤].

فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون: أي هم في حكم الله تعالى كاذبون، وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله، لأنه حرم عليهم التكلم بذلك من دون أربعة شهود، ولم يقل: فأولئك هم الكاذبون، وذلك من أجل تعظيم حرمة المسلم وعرضه بحيث لا يجوز الإقدام على رميه من دون نصاب الشهادة بالصدق.

وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه، ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب، لا في علم الله تعالى، وهو سبحانه إنما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه، فأحكام الدنيا على الظاهر.

ففي البخاري عن عمر رضي الله عنه: إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه على سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة.

وقد أجمع العلماء أن أحكام الدنيا على الظاهر، وأن السرائر إلى الله عز وجل، فالله تعالى قال في الآية السابقة: «لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا». يخاطب عقول المؤمنين وقلوبهم أولاً، إذ كان ينبغي لهم تبرئة أم المؤمنين رضي الله عنها بعقولهم وقلوبهم أولاً، فالدليل الداخلي من القلب أولاً، وهذا مصداقا لقول النبي ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». فصلاح الجسد والجوارح ومنها اللسان عن الخوض في الأعراض يبدأ أولاً باستمداد قلبي، قبل الدليل الخارجي.

إعداد/ متولي البراجيلي

ثم ذكر الله تعالى بعد القلب الدليل الخارجي وهم الشهود الأربعة، وهذا الدليل الخارجي هو الذي يؤاخذ به الناس.

- «وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [النور: ١٤].

ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم: أي بسبب ما قلتم في عائشة عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، وهذا عتاب من الله بليغ، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا، ويرحم في الآخرة من أتاه تائبا.

فخطاب الله تعالى في الآية لمن عنده إيمان ورزقه الله التوبة وأقيم عليه الحد، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه، فليس أولئك بمرادين في هذه الآية.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» أي: عذاب لا انقطاع له، يعني في الآخرة، لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل، بالحدود التي أقيمت بالجلد في الدنيا: فقد جلد وحد.

- وإن كان ما خضتم فيه يستحق هذا العذاب، ولكن الله الذي سبقت رحمته غضبه شمل برحمته المخطئين.

- «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ» [النور: ١٥].

وتلقونه من التلقي، وقرأت عائشة رضي الله عنها: إذ تَلِقُونه: أي تكذبونه من الولْق وهو الكذب، وفي البخاري عن عائشة هي من ولق اللسان، يعني الكذب الذي يستمر صاحبه عليه، وتتلقونه بألسنتكم: أي تتلقفونه، ويلقيه بعضكم إلى بعض.

«وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ»: والأمران محظوران: التكلم بالباطل في قوله تعالى: إذ تلقونه بألسنتكم، والقول بلا علم في قوله تعالى: «وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ».

والقول إنما هو تعبير عما استقر في القلب والعقل، واللسان يترجم عنه، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم وأفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب والعقل، فلسان يأخذ من لسان بلا تدبر ولا ترو ولا إمعان نظر.

ولقد حذرنا الله تعالى من القول بلا علم: «وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً».

وتحسبونه هينًا: الضمير يعود على حديث الإفك، هينًا: أي يسيرًا لا يلحقكم فيه إثم، «وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ»: أي عظيم الوزر.

- وهذا فيه زجر شديد عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئًا ولا يخفف من عقوبته شيئًا، وفي القرآن: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وقوله تعالى: «وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» [الزمر: ٤٧].

وفي السنة تحذير من التهاون بمعاصي الله تعالى، فلقد دخلت امرأة النار في حبس هرة، ودخلت امرأة النار مع كبير عبادتها لأنها آذت جيرانها بلسانها.

ولقد حذر النبي ﷺ أمنا عائشة من التهاون بمعاصي الله، فقال ﷺ: «يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله عز وجل طالبًا». (صحيح ابن حبان وغيره).

«وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا»: ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ، لما كان هينًا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء والمرسلين؟!

«وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ»: عظيم عند الله تعالى أن يُقال في زوجة رسول الله ﷺ ما قيل، فإن الله تعالى يغار، ولهذا لم يقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك، حاشا وكلا، كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ما زنت امرأة نبي قط.

ولو لم يكن ذلك، فكيف يكون هذا في زوجة سيد ولد آدم على الإطلاق؟

- فليس هينًا أن تخوضوا في عرض نبيكم، فهو عند الله عظيم، ولا يعظم عنده الله تعالى إلا الأمور الجسام.

«وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» [النور: ١٦].

وهذا عتاب لجميع المؤمنين، كان ينبغي لكم أن تنكروه، ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وسبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله ﷺ، وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان، والبهتان أن يُقال في الإنسان ما ليس فيه، وهذا المعنى جاء صريحًا في حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته. (رواه مسلم).

«يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» [النور: ١٧].

ثم يعظهم الله تعالى ألا يعودوا لمثل هذا: أي لنظير ذلك القول بعينه - أي في عائشة رضي الله عنها - أو من كان في مرتبتها، لما في ذلك من أذى رسول الله ﷺ في عرضه وأهله.

يقول هشام بن عمار: سمعت مالكًا يقول: من سبَّ أبا بكر وعمر أُدِّب، ومن سبَّ عائشة قُتل، لأن الله تعالى يقول: «يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»، فمن سبَّ عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل.

قُلْتُ: لعل الإمام مالكًا يقصد سبَّها في عرضها، وهذا الذي ذهب إليه أصحاب الشافعي: أن من سبَّ عائشة أُدِّب كما في سائر المؤمنين، وأجابوا أن الأمر ليس في سبِّ عائشة، إنما الأمر أن من رماها بما برأها الله منه فقد كذَّب الله تعالى، ومن كذَّب الله تعالى فهو كافر، أما من سبَّها في غير ما برأها الله منه فيؤدب كسائر المؤمنين.

- وموعظة الله لنا، هي نعم الموعظة، فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان والتسليم والشكر لله.

- «إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»: توقيف وتوكيد، كما تقول: ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا، إن كنت رجلاً، ودلَّ ذلك على أن الإيمان الصادق يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يَعِظُكُمُ اللَّهُ»: يحرم الله عليكم، وقال مجاهد - رحمه الله -: ينهاكم الله.

«وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [النور: ١٨].

يبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام، والوعظ، والزجر، والترغيب، والترهيب، يوضحها لكم توضيحًا جليًا.

«وَاللَّهُ عَلِيمٌ»: أي كامل العلم، «حكيم»: تام الحكمة، فمن علمه وحكمته، أن علَّمكم من علمه.

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» [النور: ١٩].

«يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ»: أي تفشو وتظهر، وتكون حديث الناس وشغلهم الشاغل، والفاحشة: هي الأمور الشنيعة المستقبحة، توعد الله من فعل ذلك بالعذاب الأليم، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، بينما كان ينبغي

له أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه كما بالحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وإن وقع أخوه في معصية، فينبغي له أن يستر عليه، كما يستر على نفسه وعلى أهله، كما بالحديث وهذا الوعيد الشديد لمجرد محبة إشاعة الفاحشة بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهار الفاحشة ونقلها، والعمل على ترويجها وبثها وتسهيلها بين الناس، وكل هذا من رحمة الله لعبادة المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، فمن سمع شيئًا من الكلام السيئ، فقام بذهنه شيء منه، فعليه أن يدفع ذلك بالذب عن عرض إخوانه، ولا يتكلم بالسوء ويذيعه ويشيعه.

«لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا»: وهو الحد، والآخرة: هو عذاب النار. (وهو مخصوص للمنافقين، فالحد للمؤمن كفارة).

«وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ»: فلذلك علمكم وبين لكم ما تجهلون.

«وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» [النور: ٢٠].

إن فضل الله تعالى أحاط بكم من كل جانب، لذا بين لكم كل هذه الأحكام والمواعظ والحكم الجليلة، ولولا فضله سبحانه وتعالى ما أمهل من خالف أمره، ووقع في أحبائه، ولكن لفضله ورحمته، وأن ذلك من وصفه اللازم، أثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه أو تعدوه.

وجواب لولا في الآية محذوف: يعني لولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد مسطحًا، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.

عودٌ على بدء

على مدى ما يقرب من عامين، بيّنا قدر الوسع، المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة، وكان السبب الرئيس للتفصيل في هذه المقالات، هو ما يردده البعض بين الحين والآخر حول الحجاب - فرض ربنا على المرأة المسلمة - وما يدعيه هؤلاء وأولئك من عدم أهمية الحجاب، وأنه من القشور الخارجية، وأن مدار الأمر على اللب (القلب) من الداخل، واستغلال أخطاء بعض المحجبات، وعدم التزامهن الالتزام الصحيح في التعكير على الحجاب والملتزمات به، ومن ثم رمي الدعاة والدعوة بالسطحية وضحالة الفكر، إذ هم لا يهتمون إلا بالشكل فقط سواء للرجل أو للمرأة.

وكلامهم هذا - عارٍ عن الصحة - قلبًا وقالبًا، وإنما هي دعاوى مغرضة، الهدف منها تنفير الناس من الحجاب ومن الدين، وهيهات هيهات لما يقولون ولما يفعلون.

فأردنا أن نبين لإخواننا وأخواتنا - أولاً - منهج ربنا المتكامل في العفة والطهارة والحشمة والحياء والطهر والصلاح، ونبين لهؤلاء المدعين - عمدًا وجهلاً وانسياقًا - أن الحجاب لبنة في بناء عفة المجتمع، وأن الدعاة الربانيين يستقون منهجهم في الدعوة من الوحيين - الكتاب والسنة - ويضعون الأمور في نصابها الحقيقي، ويعلمون أن الدين كل متكامل، نسيج واحد، وأنه يتكون من شعب، كما قال النبي ﷺ، وأن هذه الشعب ليست سواء، فشعبة لا إله إلا الله ليست كشعبة إماطة الأذى عن الطريق، لكنها كلها من شعب الإيمان، التي ينبغي الإيمان بها والتحلي بها، ولقد ذم الله بني إسرائيل في الكتاب لما تخيروا بهواهم ما يريدون وما لا يريدون من دين الله، «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» [البقرة: ٨٥].

فعلى فرض أن المحجبات كلهن وقعن في الأخطاء، فهل يطعن هذا في وجوب الحجاب، فهب أن بعض المصلين لا يعملون بصلاتهم، أنهاجم الصلاة وننادي بإبطالها أم ننصح المقصرين، ولو أن بعض الصائمين لا يعملون بمقتضى صيامهم، أنلغي شهر رمضان، أم نعالج أخطاء هؤلاء الصائمين ونوجههم لحقيقة الصيام.

وهكذا، فأخطاء المحجبات تصوب وتوجه، «وكل ابن آدم خطاء»، لكن لا نهاجم دين الله أبدًا وآياته التي فرض فيها الحجاب على كل امرأة مسلمة.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» [الأحزاب: ٥٩].

فإلى الذين يقولون: إن المهم هو الجوهر فقط، وأن الشكل لا وزن له، نقول: إن العقلاء يعرفون التلازم بين الشكل والجوهر، فالذي يتزيا بزي طائفة من الناس يجد نفسه من تحليا بأخلاقهم وأفعالهم، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يشبه الزي الزي حتى يشبه القلب القلب.

والإسلام - نعم - ركز على قلب الإنسان وجوهره لأنه ملك البدن وبصلاحه ينصلح حال البدن، لكنه في ذات الوقت لم يغفل الشكل الخارجي، والنبي ﷺ له توجيهات كثيرة في مراعاة تميز الأمة وخصوصيتها في شكلها كما هي متميزة في مضمونها.

فيا من تهاجمون الحجاب، وهو شرع ربنا، وتخلطون الأوراق بين دين أمر الله به وبين سلوك قد يكون فيه بعض الأخطاء، فإن كنتم من النصحاء المخلصين، فانصحوا لله، واعملوا على كل ما من شأنه أن يحافظ على صلاح المجتمع وطهارته، موقنين أن هذا الصلاح المرجو لن يكون إلا وفق شرع الله ومنهجه، واعلموا أن الكل موقوف على ربه تعالى وسائله ليس بينه وبينه ترجمان: «يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

والحمد لله رب العالمين.

أحكام الزواج

مشكلات وعلاج

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد انتهينا في الحلقة الماضية من الحديث عن زواج الأبكار، وفي هذه الحلقة نتحدث إن شاء الله عن:

تزويج الثيبات

والثيبات جمع ثَيِّب، وهي ضد البكر. قال ابن الأثير: ويقع على الذكر والأنثى، يقال: رجل ثيب وامرأة ثيب.

ومع ترغيب الشرع في التزويج من الأبكار إلا أنه قد يكون أحيانًا الزواج بالثيب مصلحة كبرى، وخيرًا عظيمًا، وقد تزوج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام بالثيبات، يظهر ذلك في الأحاديث الآتية:

١- عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها أنها قالت: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان فقال: «أو تحبين ذلك؟» فقلت: نعم لست لك بمخلية (أي لست خالية من الضرائر فبالأولى أختي)، وأحب من شاركني في الخير أختي، فقال النبي ﷺ: «إن ذلك لا يحل لي». قلت: فإنا نحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة؟ قال: «بنت أم سلمة؟» قلت: نعم، فقال: «لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضْن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن».

قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب أُريه بعض أهله بشر حيبة (حال) قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم (رَخاء) غير أني سُقيت في هذه (أشارة إلى النقرة بين الإبهام والمُسبِّحة) بعتاقتي ثويبة. [متفق عليه]. يعني سقي ماء بعد موته في إناء صغير مثل النقرة، وذلك لعتقه ثويبة التي كانت أرضعت النبي ﷺ.

قوله: «بناتكن» خاطب بذلك نساءه فاقتضى أن لهن بنات من غيره، فيستلزم أنهن ثيبات كما هو الأكثر الغالب، وهذا موضع الاستشهاد.

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة، فتعجلت على بعير لي قطوف، فلحقني راكب من خلفي، فنخس بعيري بعنزة كانت معه، فانطلق بعيري كأجود ما أنت راءٍ من الإبل، فإذا النبي ﷺ فقال: «ما يُعجلك؟» قلت: كنت حديث عهد بعرس، قال: «أبكرًا أم ثيبًا؟» قلت: ثيبًا، قال: «فهلاً جارية تلاعبها وتلاعبك؟» قال: فلما ذهبنا لندخل المدينة، قال: «أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً – أي عشاءً – لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة».

يقول جابر رضي الله عنه: قفلنا أي رجعنا على بعير قطوف وهو البطيء، فنخس النبي ﷺ بعنزة وهي رمح قصير أطول من العصا، أي: طعن في مؤخرة البعير ليهيجه على السير السريع، ونهاهم النبي ﷺ أن يدخلوا المدينة فجاة نهارًا حتى تمتشط المرأة الشعثة: غير المتزينة وهي منتشرة الشعر مغبرة الرأس، وحتى تستحدَ المرأة المغيبة التي غاب عنها زوجها وتستعمل الحديدة في إزالة شعر الإبط والعانة ونحو ذلك.

فالنبي ﷺ سأل جابرًا عن سبب عجلته لدخول المدينة ما يعجلك؟ فقال: إنه مشتاق لزوجته التي تزوجها حديثًا. وفي رواية عطاء عن جابر: فلما دنونا من المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام - أخذت أرتحل، قال: «أين تريد؟» قلت: تزوجت.

ولما سأله النبي ﷺ عن سبب عزوفه عن البكر قال: قلت: كان لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمطشهن وتقوم عليهن أي في غير ذلك من مصالحهن.

وفي رواية: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات فتزوجت ثيبًا كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فقال: بارك الله لك، أو قال: خيرًا. وفي رواية: وترك تسع بنات كن لي تسع أخوات فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن (وهي التي لا تعمل بيدها شيئًا وهي تانيث الأخرق وهو الجاهل بمصلحة نفسه وغيره)، ولكن امرأة تقوم عليهن وتمشطهن، وقال: «أصبت».

وأما امرأة جابر المذكورة فاسمها سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية. قال جابر: فلما ذهبنا لندخل (أي: المدينة) قال النبي ﷺ: «امهلوا حتى تدخلوا ليلاً» أي: عشاءً، ويعارضه الحديث الآخر: «لا يطرق أحدكم أهله ليلاً». عن جابر أيضًا، ويجمع بينهما أن الحديث الأول لمن عُلم خبر مجيئه والعلم بوصوله والثاني لمن قدم بغتة، ويؤيده قوله في الطريق الأخرى: «يتخونهم بذلك». يعني يبحث هل تخونه امرأته في غيابه أو لا. وقد سهلت الوسائل الحديثة للاتصالات - بفضل الله - فرفعت كثيرًا من هذه الإشكالات.

وفي الحديث الحث على نكاح البكر، وقد ورد بأصرح من ذلك عند ابن ماجه بلفظ: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهًا وانتق أرحامًا». أي: أكثر حركة، والنتق: الحركة، فلعله يريد أنها كثيرة الأولاد.

وفي رواية عند الطبراني زيادة: «وأرضى باليسير». فإن قال قائل: إذا كانت الأحاديث تحض على اختيار البكر؛ فكيف نوفق بينها وبين حديث: «عليكم بالولود» من جهة أن البكر لا يعرف أنها ستكون كثيرة الولاة أو لا؟ فإن الجواب عن ذلك أن يُعرف ذلك في قريباتها كأمها وأختها وخالتها وغير ذلك، البكر على سبيل المظنة؛ فيكون المراد بالولود من هي كثيرة الولادة بالتجربة أو المظنة، وأما من جُربت فظهرت عقيمًا وكذا الآيسة الكبيرة فالخبران متفقان على مرجوحيتهما. وفي الحديث فضيلة لجابر لشفقته على أخواته وإيثاره مصلحتهن على حظ نفسه، ويؤخذ منه أنه إذا تزاحمت مصلحتان قدم أهمهما، لأن النبي ﷺ صوّب فعل جابر ودعا له لأجل ذلك، ويؤخذ منه الدعاء لمن فعل خيرًا وإن لم يتعلق بالداعي، وفيه سؤال الإمام أصحابه عن أمورهم وتفقده أحوالهم وإرشاده إلى مصالحهم وتنبيههم على وجه المصلحة ولو كان في باب النكاح وفيما يستحيا من ذكره، وفيه مشروعية خدمة المرأة زوجها ومن كان منه بسبيل من ولد وأخ وعائلة، وأنه لا حرج على الرجل في قصده ذلك من امرأته، وإن كان ذلك لا يجب عليها لكن يؤخذ منه أن العادة جارية بذلك، فلذلك لم ينكره النبي ﷺ.

والمراد بقول النبي ﷺ: «تمتشط الشَّعثة». أطلق عليها ذلك لأن التي يغيب زوجها يقع منها في الغالب عدم التزين، فربما كان شعرها شعثًا منثورًا غير مصفف، فتتحرج من رؤية زوجها لها هكذا، ويكون عندها الوقت أيضًا لتستحد بالحديدة التي تزيل بها شعر الإبط وغيره مما بإزالته تزول رائحة العرق الكريهة.

وعبر بالاستحداد لأنه الغالب استعماله في إزالة الشعر وليس في ذلك منع إزالته بغير الحديدة (الموسى)، والله أعلم.

وقفة هامة

لم يعلم النبي ﷺ بزواج جابر رضي الله عنه كما بالحديث، ومنزلة جابر وقدره في الصحابة معلوم، وكذلك لم يعلم ﷺ بزواج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، كما بحديث أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه المدينة، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع رضي الله عنه، فأتى عبد الرحمن السوق فربح شيئًا من أقط وسمن فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر صُفرة (ريح زعفران)، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْيَمْ؟» أي: ما الأمر ؟ فقال عبد الرحمن: تزوجتُ امرأة من الأنصار، فقال: «فما سقت إليها؟» يعني: المهر، قال عبد الرحمن: وزن نواة من ذهب، فقال رسول الله ﷺ: «أوْلم ولو بشاة».

فهذان صحابيان جليلان تزوجا في المدينة ولم يعلم النبي ﷺ بزواجهما مع صغر مساحة المدينة وقلة عدد سكانها وقتئذ، حتى علق ابن عبد البر في كتابه «التمهيد» على زواج عبد الرحمن وأشباهه بقوله: في هذا الحديث دليل على أن من فعل ما يجوز له فعله دون أن يشاور السلطان ؛ خليفة كان أو غيره فلا حرج ولا تثريب عليه، ألا ترى أن عبد الرحمن بن عوف تزوج ولم يشاور رسول الله ﷺ ولا أعلمه بذلك ؟ ولم يكن من رسول الله ﷺ إليه إنكار ولا عتاب ؟

وكان على خلق عظيم من الحلم والتجاوز ﷺ انتهى.

أليست دعوة عبد الرحمن وجابر رضي الله عنهما النبي ﷺ لحضور عرسهما شرفًا وفخرًا وسعادة لهما كما في مفهومنا حينما نصرّ على دعوة المشايخ في الأفراح، وقلبها إلى مهرجانات وزحام ونفقات؟

لكن لما لم يفعل الصحابيان الجليلان ذلك - وكان بمقدورهما - علمنا أن أمر الزواج وفقهه عندهم لم يكن بالفقه الذي عندنا، ولا نمنع من دعوة المشايخ، ولكن نقول: ليس ضروريًا وشرطًا وحرصًا يكلف المشايخ والدعاة وقتًا هم أحوج إليه في غير هذا.

وأيضًا ليس فخرًا أن يقول عروس: قد حضر عقد زواجي الشيخ فلان، وأيضًا نقول: إن الزواج عندهم لم يأخذ تلك الصورة المظهرية المدنفة، المزعجة المكلفة.

▫▫ تزويج الصغار من الكبار (أي في السن) ▫▫

قال ابن بطال: أجمع العلماء أنه يجوز للآباء تزويج الصغار من بناتهم وإن كن في المهد (يعني العقد)، إلا أنه لا يجوز لأزواجهن البناء بهن إلا إذا صلحن للوطء واحْتَمَلْنَ الرجال، وأحوالهن في ذلك مختلفة على قدر خلقهن وطاقتهن.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب عائشة رضي الله عنها، وصغر عائشة عن كبر رسول الله ﷺ معلوم، ورواية عروة في قصة وقعت لخالته عائشة، الظاهر أنه حمل ذلك عن خالته عائشة أو عن أمه أسماء بنت أبي بكر، والقصة وقعت بمكة قبل الهجرة، ولما كلم رسول الله ﷺ فيها أبا بكر، قال أبو بكر: إنما أنا أخوك، إشارة إلى تحريم نكاح بنت الأخ، فقال ﷺ: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي حلال». إشارة إلى قوله تعالى: ««إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»». ونحو ذلك، وقوله: وهي لي حلال معناه: وهي مع كونها بنت أخي في الدين يحل لي نكاحها، لأن الأخوة المانعة من ذلك أخوة النسب والرضاع لا أُخوة الدين.

وقد رأى الشافعي بالمدينة جدة لها إحدى وعشرين سنة!! كما ورد بمعجم الأدباء.

▫▫ إلى من ينكح، وأي النساء خير؟ ▫▫

وعلى الراغب في الزواج أن يراعي في الاختيار التي عندها فضل الحنو والشفقة وحسن التربية والقيام على الأولاد وحفظ مال الزوج وحسن التدبير فيه.

وخير من اتصف بهذه الصفات قريش لأن نساءها خير النساء، ومن ثبت أنهن خير من غيرهن استحب تخيرهن للأولاد.

وقد ورد حديث صريح أخرجه ابن ماجه وصححه الحاكم من حديث عائشة مرفوعًا: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء». وقال ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش ؛ أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده». متفق عليه من حديث أبي هريرة.

ومعنى «صالح» من صلاح الدين، وصلاح المخالطة للزوج وغيره ممن تجوز مخالطته، ومعنى «أحناه» من الحنو وهو الشفقة، والحانية هي التي تقوم على ولدها بعد يتمه ولا تتزوج. والنساء الصالحات هن اللاتي ترعى الواحدة منهن زوجها وتحفظه وتصونه في ذات يده وماله وذلك بالأمانة فيه والصيانة له وترك التبذير في الإنفاق فيه.

قال أبو هريرة في آخر الحديث: ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط، فكأنه أراد إخراج مريم من هذا التفضيل لأنها لم تركب بعيرًا قط فلا يكون فيه تفضيل نساء قريش عليها، ولا يُشك أن لمريم فضلاً وأنها أفضل من جميع نساء قريش.

وفي حديث: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة». متفق عليه. معناه: أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها.

والمحكوم له بالخيرية الصالحات من نساء قريش لا على العموم، والمراد بالصلاح هنا صلاح الدين وحسن المخالطة مع الزوج ونحو ذلك.

وفي الحديث الحث على نكاح الأشراف خصوصًا القرشيات، ومقتضاه أنه كلما كان نسبها أعلى تأكد الاستحباب، ويؤخذ منه اعتبار الكفاءة في النسب، وفيه فضل الحنو والشفقة وحسن التربية، والقيام على الأولاد وحفظ مال الزوج وحسن التدبير فيه، ويؤخذ منه مشروعية إنفاق الزوج على زوجته.

▫▫ تزويج المعسر ▫▫

قال الله تعالى: ««وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ»» [النور].

قوله تعالى: ««إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ»»، أزال شبهة الخوف من الفقر في الأمر بتزويج المعسرين، ومحصله أن الفقر في الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال في المال، والله أعلم.

وفي تفسير الطبري قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه، وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم، ووعدهم في ذلك الغنى، فقال: ««إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ»».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ««إن

يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ».

وقوله سبحانه: «وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» يعني: أن الله واسع الفضل جواد بعطاياه، فزوجوا إماءكم فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله إن كانوا فقراء، عليم ذو علم بالفقير منهم والغني لا يخفى عليه حال خلقه انتهى.

قال القرطبي في تفسيره: في الآية سبع مسائل ونحن نوجزها فيما يأتي:

الأولى: هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح، أي: زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء.

وفي هذا دليل على أن المرأة ليس لها أن تنكح نفسها بغير ولي وهو قول أكثر العلماء. وقال أبو حنيفة: إذا زوجت الثيب أو البكر نفسها بغير ولي كفا لها جاز.

والنص الشرعي أولى بالاتباع، وهو أن من تزوجت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل.

الثانية: للعلماء في هذه الآية ثلاثة أقوال:

١- الزواج واجب وحتم على من خاف العنت والفتنة ولم يصبر وخاف الهلاك في الدين والدنيا.

٢- أما إذا لم يخش شيئًا من ذلك فالنكاح مباح لأنه قضاء لذة فكان مباحًا كالأكل والشرب.

٣- وقال البعض: هو مستحب، وتعلق علماؤنا بالحديث الصحيح: «من رغب عن سنتي فليس مني».

الثالثة: قوله تعالى: «الأَيَامَى مِنكُمْ» أي: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، الأيم في الأصل هي المرأة التي لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبًا، تقول العرب: تأيمت المرأة إذا قامت لا تتزوج.

الرابعة: المقصود من قوله «وأنكحوا الأيامى منكم» الحرائر والأحرار ثم بين حكم المماليك فقال «والصالحين من عبادكم وإمائكم» والصلاح الإيمان.

الخامسة: أكثر العلماء على أن للسيد أن يكره عبده وأمته على النكاح.

السادسة: قوله تعالى: «إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ» رجع الكلام إلى الأحرار أي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة، «إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ»، وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلبًا لرضا الله واعتصامًا من معاصيه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «التمسوا الغنى في النكاح»، وتلا هذه الآية.

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح وقد قال الله تعالى: «إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ». وروي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا. ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة كلهم حق على الله عونه: المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء». (أخرجه ابن ماجه في سننه).

فقد نجد الناكح لا يستغني، أي: لا يأتيه الغنى، قلنا: لا يلزم أن يكون هذا على الدوام، بل لو كان في لحظة واحدة لصدق الوعد، وقد قيل: يغنيه أي يغني النفس، وفي الصحيح: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس».

السابعة: هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقول: كيف أتزوج وليس لي مال، فإن رزقه على الله، وقد زوج النبي ﷺ المرأة التي أتته تهب له نفسها لمن ليس له إلا إزار واحد، وليس لها بعد ذلك فسخ النكاح بالإعسار لأنها دخلت عليه، وإنما يكون ذلك إذا دخلت على اليسار (كثرة المال)، فخرج معسرًا أو طرأ الإعسار بعد ذلك، لأن الجوع لا صبر عليه.

قاله علماؤنا، وقال النقاش: هذه الآية حجة على من قال: إن القاضي يفرق بين الزوجين إذا كان الزوج فقيرًا لا يقدر على النفقة لأن الله تعالى قال: «يُغْنِهِمُ اللَّهُ»، ولم يقل: يفرق، وهذا انتزاع ضعيف، وليست هذه الآية حكمًا فيمن عجز عن النفقة بجواز التفريق بين الزوجين، وإنما هي وعد بالإغناء لمن تزوج فقيرًا، فأما من تزوج موسرًا وأعسر بالنفقة فإنه يفرق بينهما، قال الله تعالى: «وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ» [النساء: ١٣٠]، ونفحات الله تعالى مأمولة في كل حال موعود بها. انتهى بتصرف.

الكفاءة في الزواج

الكفء: المثل والنظير واعتبار الكفاءة في الدين متفق عليه، فلا تحل المسلمة لكافر أصلاً، وقد جزم بأن اعتبار الكفاءة مختص بالدين مالك، ونُقل عن ابن عمر وابن مسعود، ومن التابعين عن محمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز.

واعتبر الكفاءة في النسب الجمهور، وقال أبو حنيفة قريش أكفاء بعضهم لبعض والعرب كذلك، وليس أحد من العرب كفا لقريش كما ليس أحد من غير العرب كفا للعرب، وهو وجه للشافعية، والصحيح تقديم بني هاشم والمطلب على غيرهم، ومن عدا هؤلاء أكفاء بعضهم لبعض. وقال الثوري: إذا نكح المولى العربية يفسخ النكاح، وبه قال أحمد في رواية.

وتوسط الشافعي فقال: ليس نكاح غير الأكفاء حرامًا فأرد به النكاح، وإنما هو تقصير بالمرأة والأولياء، فإذا رضوا صح ويكون حقًا لهم تركوه، فلو رضوا إلا واحدًا فله فسخه. والله الموفق.

كيف تؤدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

اعلم رحمك الله أن من أراد الحج فهو مخير بين ثلاثة أنساك:

الأول: الحج مفردًا، أي لا يكون معه عمرة قبله أو بعده.

الثاني: الحج متمتعًا، وهو أن يُحرم بالعمرة وحدها من الميقات في أشهر الحج (شوال- ذي القعدة- ذي الحجة)، ثم يبقى بمكة حلالاً حتى يأتي اليوم الثامن (يوم التروية)، فيحرم من مكانه بالحج.

الثالث: الحج قارنًا، وهو أن يحرم من الميقات بالعمرة والحج معًا، ولا يحل من إحرامه بينهما.

والإحرام بأي هذه النسك يكون من الميقات بأن يقول: لبيك اللهم... ويسمي النسك الذي اختاره، وذلك بعد تجرده من ثياب المخيط واغتساله ولبسه إزاره ورداءه للرجال، والمرأة ليس لها إحرام خاص من جهة الثياب، بل تحرم في ثيابها المعتادة دون تبرج بزينة أو ملابس فاتنة، كما لا تنتقب ولا تلبس القفازين، ولا حرج عليها إن مر الرجال عليها فاسدلت شيئًا فوق رأسها على الوجه، وإذا خاف المحرم والمحرمة حصول عائق أو حبس حابس عن إتمام النسك فليشترط؛ بأن يقول عند الإحرام..: فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني، فإذا منعه مانع من إكمال النسك فبهذا الشرط يحل ولا إكمال عليه ولا شيء.

ولا يجوز تجاوز الميقات بدون إحرام، ومن فعل ذلك فعليه الرجوع للإحرام من الميقات، فإن لم يرجع فعليه فدية (دم يذبح في الحرم ولا يأكل منه، بل يكون لفقراء مكة).

أما عن الأنساك الثلاثة: فإن كان الحاج مفردًا بحجه فيقول: لبيك اللهم حجًا، عند الميقات، ويدخل في الحج مباشرة يوم التروية، وإن سبق ذلك قدومه إلى الحرم فطاف طواف القدوم فلا حرج، وإن سعى سعي الحج جاز أو أخره إلى ما بعد ذلك، وليس على المفرد بالحج هدي.

ثانيًا: الحاج متمتعًا:

يحرم من الميقات بالعمرة قائلاً: لبيك اللهم عمرة، وله أن يشترط، كما بينا آنفًا، فإذا بلغ الكعبة توقف عن التلبية التي بدأها من وقت الإحرام، ثم دخل المسجد الحرام وفعل الآتي:

١- طاف بالكعبة سبعة أشواط مضطبعًا، يعني مظهرًا كتفه الأيمن الذي لا يظهر قبل ذلك ولا بعده، ويرمل في الثلاثة أشواط الأولى.

٢- يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم أو بأي مكان متيسر.

٣- يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط كل شوط يكون ذهابًا أو إيابًا مبتدءًا بالصفا ومنهيًا بالمروة.

٤- الحلق أو التقصير بعد ذلك، والمرأة تجمع ضفائرها وتأخذ من طرفها بقدر الإبهام، وبذلك انتهت أعمال العمرة، فيحل المعتمر إلى أن يأتي يوم التروية فيحرم بالحج من مكانه، وعلى الحاج متمتعًا هدي.

ثالثًا: الحاج قارنًا، وهو الذي نوى عند الإحرام من الميقات أن يقرن الحج بالعمرة، فقال: لبيك اللهم عمرة وحجًا مقترنين أو نحو ذلك، فهذا يلبي حتى يبلغ الكعبة ويطوف سبعة أشواط مضطبعًا كما سبق، وهذا الطواف طواف القدوم، ثم يصلي ركعتين خلف المقام، فإن سعى فهو سعي العمرة والحج، وإن أخر السعي إلى ما بعد ذلك بعد رمي جمرة العقبة فلا حرج ويبقى محرمًا، ثم يخرج من الحرم لإتمام حجه مع دخول يوم التروية اليوم الثامن من ذي الحجة، وعلى الحاج قارنًا هدي كما على المتمتع، فإذا كان يوم التروية فعلى الحاج الآتي:

أعمال اليوم الثامن من ذي الحجة، يوم التروية،

- يتجه الحاج - في وقت الضحى - إلى منى ويبيت فيها ويصلي فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، والفجر، كل صلاة في وقتها مع مراعاة أن تصلى الصلاة الرباعية قصرًا (أي

مناسك الحج

يصلي ركعتين فقط)، أما المغرب فتصلى ثلاث ركعات كما هي.

- ينبغي على الحاج أن يكثر من التلبية والاستغفار والدعاء بالخير له، ولجميع المسلمين، كما ينبغي عليه أن يحرص على الإكثار من الأذكار الصحيحة الثابتة عن نبينا محمد ﷺ في الأوقات والأحوال المختلفة.

أعمال اليوم التاسع من ذي الحجة «يوم عرفة»

- إذا طلعت شمس يوم عرفة يتجه الحاج من منى إلى عرفة.
- يبقى الحاج في نمرة إلى وقت الظهر، ثم يصلي الظهر والعصر جمعاً وقصراً في المسجد مع الإمام إذا تيسر له ذلك.
- يدخل الحاج حدود عرفة ويتأكد من ذلك، ثم يكثر من الذكر والدعاء، والتلبية، وقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويصلي على النبي، ويستحب له أن يكون متوضئاً، ومتوجهاً نحو القبلة.
- بعد التأكد من غروب الشمس، يتجه الحاج إلى مزدلفة، ويصلي بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، فيصلي المغرب ثلاث ركعات، والعشاء ركعتين، ولا يصلي بعدهما شيئاً من النوافل سوى الوتر.
- ينام الحاج في مزدلفة حتى الفجر، وأما أصحاب الأعذار الشرعية، كالمرضى والضعفاء ومن يرافقهم، فيجوز لهم الانصراف من مزدلفة إلى منى بعد منتصف الليل.

أعمال اليوم العاشر من ذي الحجة «يوم العيد»

١- يؤدي الحاج صلاة الفجر جماعة في مسجد مزدلفة إذا تيسر له ذلك.

٢- يستقبل الحاج القبلة ويكثر من الدعاء والاستغفار وتسبيح الله «سبحان الله» وتحميده «الحمد لله»، وتكبيره «الله أكبر» وتهليله: «لا إله إلا الله» حتى يسفر الصبح جداً

إعداد / صلاح نجيب الدق

(أي يشتد ضوء النهار قبل شروق الشمس).

٣- يخرج الحاج من مزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس مع الإكثار من التلبية.

٤- يذهب الحاج لرمي جمرة العقبة الكبرى، وعندما يصل إليها يقطع التلبية ثم يبدأ برمي الجمرة بسبع حصيات، مثل حبة الفول، ويقول: «الله أكبر» عند رمي كل حصاة ويتأكد من سقوط الحصاة في الحوض وتنقطع التلبية عند بداية رمي جمرة العقبة الكبرى.

٥- يذبح الحاج هَدْيَه إذا كان متمتعاً أو قارناً، ويجوز له أن ينيب غيره في الذبح، وتوزيع لحوم الهدي على الفقراء في الحرم المكي، وأما من حج مفرداً فلا هدي عليه، ومن لم يستطع الهدي وجب عليه صيام ثلاثة أيام بالحج وسبعة إذا رجع إلى بلده وأهله، ولا يقدم الحاج شراء الهدايا على شراء الهدي لأن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب.

٦- يحلق الحاج أو يقصر شعر رأسه من جميع الجوانب، والحلق أفضل، وبالنسبة للمرأة فإنها تجمع شعر رأسها وتقصر منه قدر عقلة الأصبع، ويقوم بالتقصير لها امرأة مثلها أو أحد محارمها من الرجال.

٧- يرتدي الرجل ثيابه العادية ويضع الطيب ثم يذهب إلى المسجد الحرام، وأما المرأة فيحرم عليها أن تضع الطيب أثناء أداء مناسك الحج والعمرة.

٨- يطوف الحاج طواف الإفاضة وهو سبعة أشواط بدون رمل (وهو الإسراع في السير مع تقارب الخطوات).

٩- يصلي الحاج ركعتين خلف مقام إبراهيم إذا تيسر له ذلك، ويجوز له أن يصلي هاتين

الركعتين في أي مكان في المسجد الحرام، وبعد ذلك يذهب للشرب من ماء زمزم ويصب منها على رأسه وجسده، وينبغي على الحاج أن يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء من الأمراض، وحفظ القرآن والسنة وطلب العلم النافع، وغير ذلك من أمور الخير.

١٠- يسعى الحاج المتمتع بين الصفا والمروة، وكذلك القارن والمفرد اللذان لم يسعيا مع طواف القدوم.

تنبيه هام

يقوم الحاج يوم العيد برمي جمرة العقبة الكبرى، ثم يحلق أو يقصر شعر رأسه، ثم يطوف طواف الإفاضة، وبعد ذلك يسعى بين الصفا والمروة.

ومن السنة أن تكون هذه الأعمال بنفس هذا الترتيب السابق: فمن ترك هذا الترتيب وقدّم شيئًا على آخر فلا شيء عليه، ولا حرج في ذلك.

أعمال اليوم الحادي عشر من ذي الحجة

١- يجب على الحاج المبيت بمنى مع التأكد أنه داخل حدود منى، وعليه المحافظة على أداء الصلوات المفروضة جماعة والإكثار من التكبير والذكر والاستغفار والدعاء.

٢- يبدأ الحاج في رمي جمرة العقبة الصغرى بعد الظهر، بسبع حصيات متعاقبات مع قول: الله أكبر عند رمي كل حصاة، ويجب عليه التأكد من سقوط الحصى داخل الحوض، وبعد ذلك يتجه الحاج نحو القبلة ويدعو الله بما شاء من الخير له وللمسلمين.

٣- يتجه الحاج بعد ذلك إلى جمرة العقبة الوسطى فيرميها بسبع حصيات متعاقبات مع قول: الله أكبر مع كل حصاة، وبعد ذلك يستقبل القبلة ويدعو الله بما شاء من الخير.

٤- يتجه الحاج بعد ذلك إلى جمرة العقبة الكبرى، فيرميها بسبع حصيات متعاقبات مع قول: الله أكبر مع كل حصاة، ثم ينصرف بعد ذلك ولا يدعو بعدها.

تنبيهات هامة خاصة برمي الجمرات

١- يبدأ رمي الجمرات الثلاث بعد الظهر ويجوز أن يستمر الرمي حتى الليل، ولا يجزئ رمي الجمرات الثلاث قبل الظهر.

٢- يجب المحافظة على الترتيب عند رمي الجمرات الثلاث، فيبدأ الحاج برمي جمرة العقبة الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى.

٣- لا يشترط أن تصيب الحصاة العمود الموجود داخل الحوض، ولكن يشترط أن تسقط الحصى داخل الحوض، وإذا أصابت الحصاة العمود الموجود داخل الحوض، ولم تستقر فيه وجب على الحاج أن يرمي حصاة أخرى بدلاً منها.

٤- إذا شك الحاج في عدد الحصى بنى على العدد الأقل.

٥- إذا نسي الحاج حصاة في إحدى الجمرات، فلم يرم مثلاً إلا بخمس أو ست حصيات، ثم تذكر بعد عودته إلى مكان إقامته، وجب عليه أن يعود في الحال ليرمي الحصيات التي نسيها، فإذا لم يتذكر إلا في اليوم التالي، فعليه أن يبدأ برمي الجمرات التي نسيها أولاً ثم يرمي جمرات اليوم الحاضر، ولا شيء عليه.

٦- يجوز لأصحاب الأعذار كالضعفاء والمرضى، أن ينيبوا غيرهم في رمي الجمرات، وذلك بعد أن يرمي الوكلاء عن أنفسهم أولاً.

أعمال اليوم الثاني عشر من ذي الحجة

١- يجب على الحاج المبيت بمنى مع المحافظة على أداء الصلوات المفروضة جماعة والإكثار من الدعاء والاستغفار وذكر الله تعالى.

٢- يرمي الحاج الجمرات الثلاث بعد الظهر بنفس ترتيبها الذي تم في اليوم الحادي عشر.

٣- إذا أراد الحاج أن يتعجل فعليه الخروج من منى قبل غروب شمس اليوم الثاني عشر.

٤- إذا أراد الحاج العودة إلى بلده، وجب عليه الذهاب إلى المسجد الحرام ليطوف طواف الوداع، ويجوز للحائض والنفساء مغادرة مكة بدون طواف الوداع ولا شيء عليهما.

أعمال اليوم الثالث عشر من ذي الحجة

- يرمي الحاج الجمرات الثلاث بنفس ترتيبها بعد الظهر.

- عند الرغبة في مغادرة مكة، وجب على الحاج أن يطوف طواف الوداع، ويجوز للحائض والنفساء مغادرة مكة بدون طواف الوداع ولا شيء عليهما.

وبهذا تكون قد تمت مناسك الحج، نسأل الله بأسمائه الحسنى أن يجعله حجًا مبرورًا وسعيًا مشكورًا، عملاً صالحًا متقبلاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٠١)

قصة مفتراة على الذبيح إسماعيل - عليه السلام -

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والخطباء والوعاظ، خاصة يوم النحر في خطبة العيد، واغتر بها كثير من العوام لما وضع فيها من عبارات تثير العبرات، وسنبين للقارئ الكريم حقيقة هذه القصة الواهية من تخريج وتحقيق.

أولاً: المتن

يُروى أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام: أن يا إبراهيم قم فقرب ابنك قرباناً، وكانت الرؤيا بمكة، فقال إبراهيم: أخزى الله إبليس، يريد أن يفتنني، فقام يصلي حتى أصبح، فلما كانت الليلة القابلة رأى مثلها، فقال مثل مقالته حتى كانت الليلة الثالثة أتاه نداء وهو قائم: أن يا إبراهيم ما كان إبليس بالطاعة لربك، قم فامض لما أمرت.

قال إسحاق عن أبي إلياس عن وهب: فانطلقا حتى انتهيا إلى الشعب من منى، فانتهيا إلى أصل يثرب، فقال: انزل يا بني، فقال: يا بني، إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال: فتهلل وجهه واضطربت مفاصله، ثم قال: وابتدر أباه فقال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، قال له إبراهيم: يا بني، إني أراك قد تهلل وجهك واضطربت مفاصلك ولم تنكسر، ولم يدخلك شيء، قال: يا أبت ربي لي عوض عنك، والجنة عوض من الدنيا، وما أمرك ربي بهذا إلا لما رضي لي أن ما عنده خير لي، فامض لأمر ربك، ولكن يا أبت شد يدي ورجلي لا أجتذب من حر المدية فتنتضح بدمي:

يا أبت كفني في ثوبك، ورد ثوبي إلى أمي تستنشق من ريحي يكون أسلى لها، قال: فشد يده ورجله، ثم شحذ مديته، وجلس عند رأسه، فقال: إلهي لك الحمد في الدهر الباقي، رزقتني الولد على كبر السن، ووعدتني وأنت لا تخلف الميعاد، فابتليتني بهذا البلاء، فإن كان هذا رضى لك فاسلم لأمرك، وإن كان من غضب منك

عليَّ، فاستغفرك وأتوب إليك، قال: فبكت الملائكة وقالت: نبيًا منكبًا لوجهه والآخر يريد أن يذبحه، قال: فدنا من ابنه وتله للجبين، أي لوجهه لئلا ينظر إلى وجهه فيجزع، قال: ثم أدخل شفرته من تحت حنكه، ثم أمرها فنبت السكين - يعني لم تقطع - وانثنت السكين، وشحذه، واتقى النظر إلى وجهه، ثم أدخل الشفرة لحلقه فنبت الشفرة وكلَّت وقلبها الله في يده، ثم اجتذبها ليفرغ منه، ونودي أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا عليك بالذي خلفك فاذبحه دونه.

ثانيًا: التخريج

هذه القصة أخرج حديثها ابن قدامة المقدسي في كتابه «الرقة والبكاء» (ح٢٨) قال: «أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن المبارك بن سعد بن الموقعاني بقراءتي عليه، أخبرني جدي لأبي ثابت بن بندار بن إبراهيم، أنبأنا أبو علي الحسن بن الحسين بن دوما النعالي، أنبأنا أبو علي مخلد بن جعفر الباقرجي، أنبأنا أبو محمد الحسن بن علوية القطان، أنبأنا إسماعيل بن عيسى العطار، أنبأنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر عن عبد الرحمن بن قبيصة عن أبيه قال: «رأى إبراهيم عليه السلام في المنام...» القصة.

ثالثًا: التحقيق

علة هذه القصة الواهية: أبو حذيفة إسحاق بن بشر، وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

١- قال الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (ت / ٩٢): «إسحاق بن بشر أبو حذيفة كذاب متروك من بخارى».

قُلْتُ: ننبه طالب هذا العلم خاصة علم الجرح والتعديل إلى الافتراق بين إسحاق بن بشر علة هذه القصة وهو أبو حذيفة من بخارى، وبين إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي كوفي، حيث فرَّق بينهما الإمام الدارقطني فقال في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (ت / ٩٠): «إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي كوفي، متروك».

قلت: لأهمية هذا التنبيه أفرد له الإمام ابن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» نوعًا من النوع الرابع والخمسين «معرفة المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب ونحوها»، حيث قال: «هذا النوع متفق لفظًا وخطًا.. وزلق بسببه غير واحد من الأكابر، ولم يزل الاشتراك من مظان الغلط في كل علم، وللخطيب فيه (كتاب المتفق والمفترق)، وهو - مع أنه كتاب حفيل - غير مستوف للأقسام التي أذكرها إن شاء الله تعالى». اهـ.

قلت: ثم ذكر الإمام ابن الصلاح سبعة أقسام في أكثر من مائة سطر، وجعل القسم الأول: «المفترق ممن اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم»، وهذا النوع ينطبق تمام الانطباق على إسحاق بن بشر.

فتجد مما أوردناه آنفًا الاشتراك في أسماء الرواة وأسماء آبائهم لفظًا وخطًا، ولكن تختلف أشخاصهم، فعلة هذه القصة هو أبو حذيفة من بخارى، والآخر أبو يعقوب الكاهلي كوفي.

وهذا النوع كما بيَّنا آنفًا قال ابن الصلاح: «زلق بسببه غير واحد من الأكابر»، والتطبيق على قول ابن الصلاح يتبين مما أورده الإمام الذهبي.

٢- فقد أورد الإمام الذهبي إسحاق بن بشر علة هذه القصة في كتابه «الميزان» (١ / ١٨٤ / ٧٣٩) قال: إسحاق بن بشر أبو حذيفة بخاري صاحب كتاب المبتدأ: تركوه وكذَّبه علي بن المديني، وقال الدارقطني: كذاب متروك، وقال ابن حبان: «لا يحل حديثه إلا على وجه التعجب».

ثم قال الإمام الذهبي: «لكن خلط ابن حبان

ترجمته بترجمة الكاهلي ولم يذكر الكاهلي وكذا ضبط ابن الجوزي فقال في هذا: الكاهلي مولى بني هاشم ولم يصب في قوله الكاهلي». اهـ.

٣- إسحاق بن بشر أبو حذيفة من بخارى أورده أيضًا الإمام الحافظ ابن حجر في كتابه «لسان الميزان» (١ / ٣٩٢ / ١١٠٢)، وأقرَّ ما قاله الإمام الذهبي في «الميزان»، ثم زاد عليه ما قاله أئمة الجرح والتعديل في إسحاق بن بشر أبو حذيفة علة هذه القصة الواهية الذين لم يذكرهم الإمام الذهبي وهم:

أ- وقال مسلم بن الحجاج: أبو حذيفة ترك الناس حديثه.

ب- وقال أبو بكر بن أبي شيبة: «إسحاق بن بشر أبو حذيفة» كذاب.

جـ- وقال النقاش: يضع الحديث.

د- وقال ابن الجوزي في الموضوعات: أجمعوا على أنه كذاب.

ل- وقال الخليلي في الإرشاد: اتهم بوضع الحديث.

م- وقال ابن عدي: أحاديثه منكرة، إما إسنادًا، وإما متنًا لا يتابعه عليها أحد.

ن- وقال الخطيب: كان غير ثقة.

هـ- وقال العقيلي: مجهول، حدث بمناكير ليس لها أصل.

و- وقال الأزدي: متروك الحديث ساقط، رمي بالكذب.

قُلْتُ: من أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أن مدار هذه القصة على إسحاق بن بشر أبي حذيفة، وقد أجمعوا على أنه كذاب، وأنه يضع الحديث، وأحاديثه منكرة إما إسنادًا وإما متنًا لا يتابعه عليها أحد، وبهذا يتبين أن هذه القصة واهية، والخبر الذي جاءت به القصة موضوع.

١- والموضوع اصطلاحًا: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ.

٢- ورتبته: شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها.

٣- وحكم روايته: أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في معنى كان إلا مع بيان وضعه.

وقد بينا وضع الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية، ونحذر الداعية من رواية هذه القصة الواهية على المنابر وفي عيد النحر، حيث يذكرها كثير من الوعاظ والقصاص.

وقد تبين أن سند هذه القصة ساقط منكر.

كما قال الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١ / ٣٣٧) (١٦٤ / ١٦٤): «وهذه الأحاديث مع غيرها مما يرويه إسحاق بن بشر هذا غير محفوظ كلها وأحاديثه منكرة إما إسنادًا، أو متنًا لا يتابعه أحد عليها».

قلت: والمتن أيضًا منكر.

بدائل صحيحة

لقد جاءت القصة الصحيحة في القرآن في قوله تعالى: «﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾» [الصافات: ١٠٢-١٠٧]، فليتدبر الآيات من محبة الله عنده مقدمة على محبة ما سواه، والتسليم المطلق لله، «فلما أسلما»، ومقام الإحسان في قوله تعالى: «﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

التوبة ورد المظالم إلى أهلها

يسأل: هـ. ك. م أنه سرق من أحد زملائه مبلغًا من المال، واشتبه زملاؤه في زميلة له فحققوا معها ولم يثبت شيء، يقول: فكيف أكفر عن سرقتي وعن اتهام زميلتي؟

الجواب: على من ارتكب ذنبًا أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره، والله تعالى يتوب على من تاب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]، وأمر سبحانه وتعالى بالتوبة من الذنوب، فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار»، ولكي تكون التوبة نصوحًا فهذه شروطها:

١- الإقلاع عن الذنب.

٢- الندم على ما حدث.

٣- العزم على عدم العودة إلى معصية الله.

٤- رد المظالم إلى أصحابها إن كان الذنب في حق البشر؛ كسرقة أو غيبة، أو غير ذلك.

وعلى السائل أن يلتزم بهذه الشروط لتحسُن توبته، وإن خشي من إعادة المال لصاحبه الفضيحة أو المشاكل فليرسلها مع من يأنس إليه لتوصيلها بدون ذكر اسمه أو يلقي بالمبلغ إليه في فناء داره أو في سيارته... إلخ.

وبتوبته يتوب الله عليه، ولا شيء عليه بشأن من اتهمت بالسرقة خاصة وأنها ثبتت

القصص الخيالية والروايات العالمية

يسأل سائل يقول: هل يجوز لي أن أحكي لأولادي قصصًا أنسجها من خيالي للتسلية أو الإفادة؟

الجواب: لا يجوز للمسلم فعل ذلك، بل يحرم عليه، وما دفع الكثيرين لفعل ذلك إلا جهلهم بالقصص القرآني وقصص الأنبياء وسير الصالحين، التي يوجد فيها الكفاية والغناء، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يعلمون أبناءهم مغازي رسول الله ﷺ كما يعلمونهم السورة من القرآن، فينبغي لكل مسلم تعريف أولاده بتاريخ سلفهم الصالح وتعريفهم بسيرتهم العطرة التي فيها العبر والفوائد والهدى وحسن السيرة واستقامة السلوك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف].

اللقطة في الحرم

يسأل عبد المنعم جبر يوسف - من كفر الأطرش مركز شربين - دقهلية يقول:

وجد ابني مبلغًا من المال في شارع من شوارع مكة وأعطانيه للتصرف فيه بما يرضي الله، والسؤال: هل يمكن إنفاقه في أي بلد غير مكة على الفقراء؟

الجواب: ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرام، حرمه الله إلى يوم القيامة ؛ لا يُنَفَّر صيده، ولا يُعضد شوكه، ولا تُلتقط لقطته إلا من عرَّفها، ولا يختلى خلاؤه». فقال العباس: إلا الإذخر فإنه لبيوتهم، فقال: إلا الإذخر، ولا هجرة، ولكن جهاد ونية وإذا استُنفرتم فانفروا».

والشاهد في قوله ﷺ: «ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها». جاء في الموسوعة الفقهية أن لقطة كل بلد تُعرَّف ولكن سنة - ثم يتملكها لاقطها - فلو كان الحرم كغيره لم يكن لتخصيصه بهذا الذكر معنى، ولأن رسول الله ﷺ نهى عن لقطة الحاج. انتهى.

وحمله الجمهور على أنه نهى عن التقاطها للتملك لا للتعريف بها، فإنه يحل، قالوا: وإنما اختصت لقطة الحاج بذلك لإمكان إيصالها إلى أربابها إن كانت لمكي فظاهر، وإن كانت لآفاقي - أي الذي يأتي من بعيد خارج مكة - فلا يخلو من وارد منه إليها، فإذا عرفها واجدها في كل عام سهل التوصل إلى معرفة صاحبها. [عون المعبود].

مما تقدم يفهم أن أي لقطة يجوز التقاطها ثم تعريفها مدة سنة ثم يمتلكها ملتقطها، ولو ظهر صاحبها بعد ذلك وعرفها بأماراتها تُرد إليه، إلا لقطة الحرم فإنها لا يجوز التقاطها وتترك حتى يرجع إليها صاحبها، ولا يلتقطها إلا من يُعرِّفها أبدًا دون تملك لا بعد سنة ولا أكثر.

وقد جعلت السلطات السعودية في مكة صندوقًا خاصًا بجمع اللُّقط التي يجدها الناس ليصير هذا الصندوق مركزًا ومجمعًا لكل لقطة بحيث يسهل على من فقد شيئًا أن يجده بسهولة، فمن وجد مالاً بمكة لا يجوز له إخراجه عن مكة، فإما يعرِّفه مدى الحياة أو يسلمه للسلطات القائمة على صندوق الأمانات واللقطة.

تدريس الرجال للبنات

يسأل: ع. س. ع: منية السباع قليوبية، يقول: أنا شاب متخرج في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية وجاء تعييني في مدرسة بنات إعدادي، ثم بعد فترة انتقلت إلى المدرسة الثانوية بنات أيضًا، وأنا أجتهد في غض بصري، بل وأعمل على إصلاح هؤلاء الفتيات بعمل مسابقات دينية لهن، وغير ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل في عملي في ذلك إثم؟

الجواب: ماذا تقول أخي المدرس في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عنه أسامة بن زيد: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». [السلسلة الصحيحة].

ففتنة النساء عظيمة، وكيدهن عظيم، وخطرهن على الرجال عظيم، وعاقبة الاختلاط بهن وخيمة ومهلكة، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقد يقول قائل: أنا لا أتأثر بهن، والجواب أن هذا الكلام لا يليق، وقد قال النبي ﷺ: «إياكم والدخول على النساء». متفق عليه

من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وقال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». فلا يضر المسلم نفسه ولا غيره، فالفتنة بالنساء تفسد القلب، وتمرضه، فلتتق الله أخي السائل، وعليك بترك التدريس، ولا تعرض نفسك للفتن؛ لأن النبي ﷺ قال: «من تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذًا فليعذ به». [رواه البخاري ومسلم]

وعلى القائمين على التعليم في بلاد المسلمين أن يفصلوا بين الذكور والإناث في أثناء الدراسة، ولتقم النساء بالتدريس للبنات، ويتولى الرجال التدريس للبنين، وذلك استجابة لله ورسوله، وحفاظًا على عفة المجتمع وطهارته. والله الموفق.

الشهادة للشهيد بالشهادة

يسأل سائل: ماتت أمي في حادث تصادم سيارة بأخرى، فهل يجوز أن نقول إنها من الشهداء؟

الجواب: ذكر البخاري باب: لا يقول فلان شهيد، كما ذكر الإمام مسلم في صحيحه أيضًا من حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا؛ إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة غلها». ثم قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب؛ اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». وذكر الإمام ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: باب: لا يقال فلان شهيد، وقال النبي ﷺ: «الله أعلم بمن يجاهد في سبيله». متفق عليه. قال: التقى النبي ﷺ والمشركون فاقتتلوا وفي أصحاب الرسول ﷺ رجلٌ لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منا اليوم كما أجزأ فلان، فقال النبي ﷺ: «أما إنه من أهل النار». فاتبعه رجل كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرح الرجل جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه فقتل نفسه، فقال الرجل: أشهد أنك رسول الله، قال الرسول ﷺ: «وما ذاك؟» فأخبره، فقال عند ذلك: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». متفق عليه.

قال ابن بطال: والمعنى الذي ترجم له البخاري أنه لا يُقال: فلان شهيد، قولهم ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فمدحوا جزاءه وغَنَاءه، ففهم الرسول ﷺ منهم أنهم قضوا له بالجنة في نفوسهم بغنائه ذلك، فأوحي إليه بغيب مآل أمر ذلك الرجل لئلا يشهدوا لحي بشهادة قاطعة عند الله ولا لميت، كما قال رسول الله ﷺ في عثمان بن مظعون: «والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل به». انتهى.

مما سبق يُعلم أن إطلاق التسمية بالشهيد على من قُتلَ في المعركة تكون على ظاهر حاله وليس حكمًا بالجنة له ولا تزكية لعمله، كما يطلق اسم الشهيد على أصناف كثيرة من الناس جميعهم يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم إلا شهيد المعركة فإنه لا يُغسل ولا يُصلى عليه، ويُدفن في ثيابه التي قتل فيها وهي عليه بعد نزع سلاحه، ومن بقية الشهداء: المقتول ظلمًا كعثمان بن عفان رضي الله عنه، ومنهم المبطون والميت بالهدم والغرق وحوادث السيارات والطائرات والمرأة التي تموت في النفاس ؛ لحديث عبادة بن الصامت عند أحمد وابن ماجه وهو حديث صحيح.

التذكرة بأحكام الأضحية

وأذن في الناس بالحج ١٤٢٩ هـ

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الأضحية من شعائر الله التي شرعها لعباده ليظهروا له تفرده بالعبودية، وإني أردت أن أقدم لإخواني ملخصًا حول أحكام الأضحية يجمع أهم ما يتعلق بالأضحية من أحكام، وأسال الله أن ينفع به.

أولا: تعريف الأضحية

في اللغة: الأضحية بتشديد الياء وضم الهمزة أو كسرها، وجمعها الأضاحي، ويقال لها الضحية بفتح الضاد وتشديد الياء، وقد عرفها اللغويون بتعريفين:

١- الشاة التي تذبح ضحوة. ٢- الشاة التي تذبح يوم الأضحى. [الموسوعة الفقهية ٥ / ٧٤].

في الشرع: الأضحية هي ما يذبح من النعم تقربًا إلى الله تعالى في أيام النحر. [مغني المحتاج للشربيني ٦ / ١٢٢].

ثانيا: مشروعية الأضحية

شرعت الأضحية في السنة الثانية من الهجرة، وثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة والإجماع. [الفقه الإسلامي وأدلته ٤ / ٢٧٠٣].

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦].

أما السنة: فما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين، أقرنين، فرأيته واضعًا قدميه على صفاحهما، يسمي ويكبر، فذبحهما بيده». [متفق عليه].

وقد أجمع المسلمون على مشروعية الأضحية وأنها من شعائر الله التي شرعها لعباده في أيام النحر. [الفقه الإسلامي وأدلته ٤ / ٢٧٠٣].

ثالثا: الحكمة من مشروعية الأضحية

هي شكر الله تعالى على نعمة الحياة، وإحياء سنة أبينا إبراهيم عليه السلام حين أمره الله عز وجل بذبح الفداء عن ولده إسماعيل عليه السلام في يوم النحر، وأن يتذكر المؤمن أن صبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وإيثارهما طاعة الله ومحبته على محبة النفس والولد كانا سبب الفداء ورفع البلاء، فإذا تذكر المؤمن ذلك اقتدى بهما في الصبر على طاعة الله وتقديم محبته عز وجل على هوى النفس وشهوتها. [محاسن الإسلام ص١٠٤].

وكذلك فإن في الأضحية توسعة على الأهل والأحباب والفقراء، وتقوية لأواصر الحب في المجتمع الإسلامي. [الفقه الإسلامي وأدلته ٤ / ٢٧٠٣].

رابعا: حكم الأضحية

ذهب جمهور الفقهاء من الشافعية والحنابلة وهو أرجح القولين عند مالك إلى أن الأضحية سنة مؤكدة، واحتجوا على ذلك بما روته أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره». وفي رواية: «فلا يمسن من شعره وبشره شيئًا». [أحمد ٦/ ٢٨٩، ومسلم ٦ / ٨٣، وابن ماجه ٣١٤٩].

ووجه الدلالة من الحديث أن الرسول ﷺ قال: «وأراد أحدكم». فجعله مفوضًا إلى إرادته، ولو كانت الأضحية واجبة لاقتصر على قوله: «فلا يمس من شعره شيئًا حتى يضحي».

واحتجوا كذلك بما روي عن أبي بكر وعمر أنهما كانا لا يضحيان كراهية أن يقتدى بهما، أو مخافة أن يرى ذلك واجبًا. [أخرجه البيهقي ٩ / ٢٦٥].

ونقل ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين حتى قال ابن حزم رحمه الله في «المحلى»: لا يصح عن أحد من الصحابة أن الأضحية واجبة.

وذهب أبو حنيفة والليث بن سعد وأحد قولي الإمام مالك وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الأضحية واجبة، واحتجوا على ذلك بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فقد قيل في تفسيره: صل صلاة العيد وانحر، قالوا: ومطلق الأمر للوجوب، وبما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا». [أخرجه ابن ماجه ٣١٨١، وحسنه الألباني].

ووجه الدلالة أن هذا كالوعيد على ترك الأضحية، والوعيد لا يكون إلا على ترك واجب. قال الحافظ في الفتح عن هذا الحديث: رجاله ثقات، لكن اختلف في رفعه ووقفه، والموقوف أشبه بالصواب، ومع ذلك فليس صريحًا في الإيجاب.

سادساً: شروط صحة الأضحية

للأضحية شروط تشملها وتشمل سائر الذبائح، وشروط تختص بها وهي محل البحث، وهي ثلاثة أنواع: نوع يرجع إلى الأضحية، ونوع يرجع إلى المضحي، ونوع يرجع إلى وقت التضحية.

النوع الأول: شروط صحة الأضحية في ذاتها:

١- أن تكون من بهيمة الأنعام، وهي «الإبل والبقر والغنم ضأنًا كانت أو معزًا». وهو شرط متفق عليه بين فقهاء المذاهب الأربعة؛ لقوله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» [الحج: ٣٦]. ولأنه لم تنقل التضحية بغير الأنعام عن النبي ﷺ وعلى هذا فمن ضحى بحيوان مأكول غير الأنعام، سواء أكان من الدواب أم الطيور لم تصح تضحيته به. [الموسوعة الفقهية ٥ / ٨٢].

والشاة تجزئ عن الرجل وأهل بيته، والبدنة - أي الجمل - أو البقرة تجزئ عن سبعة أشخاص؛ لحديث جابر رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة. [متفق عليه].

وعن عطاء بن يسار قال: سألت أبا أيوب الأنصاري: كيف كانت الضحايا فيكم على عهد رسول الله ﷺ، قال: كان الرجل في عهد النبي ﷺ يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى. [الترمذي ١٥٠٥، وابن ماجه ٣١٤٧].

٢- أن تكون الأضحية بلغت سن التضحية بأن تكون ثنية أو فوق الثنية من الإبل والبقر والمعز، وجذعة أو فوق الجذعة من الضأن، وهذا الشرط متفق عليه بين الفقهاء. [الموسوعة الفقهية ٥ / ٨٢] لقول النبي ﷺ: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن». [أخرجه مسلم ٣ / ١٥٥٥ من حديث جابر].

والمسنة من كل الأنعام هي الثنية فما فوقها وهي من الإبل ابن خمس سنين ومن البقر ابن سنتين، ومن المعز ابن سنة، والجذع من الضأن من أتم ستة أشهر. [بدائع الصنائع ٥ / ٦٩، والشرح الممتع ٧ / ٤٦٠].

٣- أن تكون الأضحية سالمة من العيوب الفاحشة، وهي العوراء البين عورها، والعرجاء البين عرجها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تُنقي - أو ما كان مثلها أو أشد منها فحشًا؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجزئ من الضحايا أربع: العوراء البين عورها، والعرجاء البين عرجها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تنقي». [أخرجه أبو داود ٢٨٠٢، والنسائي ٧ / ٢١٥، والترمذي ١٤٩٧]، والعجفاء التي لا تنقي هي الهزيلة التي ذهب نقيها وهو المخ الذي في داخل العظام.

النوع الثاني: شروط ترجع إلى المضحي:

١- نية التضحية: لأن الذبح قد يكون من أجل اللحم، وقد يكون من أجل القربة، والذي يميز بينهما النية، فالنية شرط لصحة كل قربة وعبادة؛ لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». [متفق عليه].

وهذا الشرط متفق عليه بين فقهاء المذاهب الأربعة.

٢- أن تكون النية مقارنة للذبح، أو مقارنة للتعيين السابق على الذبح سواء أكان هذا التعيين بشراء الأضحية أم بإفرازها مما يملكه. [الموسوعة الفقهية ٥ / ٨٩].

الشروط التي ترجع إلى وقت الأضحية

وهو شرط واحد؛ أن تذبح الأضحية في الوقت المحدد لها شرعًا، فإذا ذُبحت في غير هذا الوقت لم تجزئ عن صاحبها باتفاق الفقهاء؛ لما ثبت من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك، فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء». [متفق عليه].

ويبدأ وقت النحر من بعد صلاة العيد لأن النبي ﷺ علق الإجزاء على ذلك، ولما ثبت من حديث جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال: «من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى». [متفق عليه].

ويستمر وقت جواز الذبح أيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر، وهو الراجح من أقوال أهل العلم؛ لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «كل أيام التشريق ذبح». [أخرجه أحمد ٤ / ٨٢، وابن حبان في صحيحه ٣٨٤٣].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا نص في الموضوع، ولولا ما أعل به من الإرسال والتدليس لكان فاصلاً في النزاع». [الشرح الممتع ٧ / ٤٩٩].

فإذا ذبح المضحي أضحيته بعد هذا الوقت لم تجزئ عنه.

مستحبات الأضحية

١- أن يعتني بها من مأكل ومشرب ونظافة وغير ذلك؛ لأن في هذا تعظيمًا لتلك الشعيرة؛ لقوله تعالى: «وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢].

٢- ويستحب في الأضحية أن تكون أسمنها وأحسنها وأعظمها؛ لأنها مطية الآخرة وأفضل الشاء: أن يكون كبشًا أملح أقرن، لأنه كان أضحية رسول الله ﷺ؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه المتفق عليه: «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين».

٣- أن يسوق الأضحية إلى مكان الذبح سوقًا جميلاً لا عنيفًا. [الموسوعة الفقهية ٥ / ٩٥].

٤- أن تكون آلة الذبح حادة؛ لقوله ﷺ: «إن الله

كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته». [أحمد ٤ / ١٢٣، ومسلم ٦ / ٧٢].

٥- أن يذبح المضحي الأضحية بنفسه فإن لم يستطع أناب عنه غيره؛ لأن النبي ﷺ ضحى فذبح عن نفسه كما ثبت في حديث أنس المتقدم، والمرأة يسن لها أن توكل من يذبح عنها أضحيتها.

٦- أن يوجه الذبيحة إلى القبلة على جنبها الأيسر، وأن يذبح في المصلى؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يذبح وينحر بالمصلى، وهي الفضاء التي يخرج الناس إليها في العيد. [رواه البخاري ٢٥٥٢].

٧- أن يسمي قبل الذبح - وهو شرط لصحة الذبح على الراجح من أقوال أهل العلم - لقوله تعالى: «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه»، ويستحب بعد التسمية التكبير والدعاء، فيقول: بسم والله أكبر، اللهم تقبل مني، اللهم هذا عني وعن أهل بيتي؛ لما ثبت من فعله ﷺ كما في حديث أنس المتقدم، وفيه: «سمى وكبر». وحديث عائشة عند مسلم، وفيه: «اللهم تقبل عن محمد وآل محمد». [أخرجه مسلم ٣ / ١٥٥٧].

٨- يستحب للمضحي أن يبادر إلى التضحية، فأفضل الأوقات بعد الصلاة يوم النحر، وهذا متفق عليه بين المذاهب؛ لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع، فننحر، فمن فعل ذلك، فقد أصاب سنتنا». [متفق عليه].

٩- يستحب للمضحي أن يأكل من أضحيته ويتصدق منها ويهدي منها؛ لقوله تعالى: «فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» [الحج: ٢٨]، وقوله تعالى: «فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر» [الحج: ٣٦].

واستحب أهل العلم الهدية من الأضحية مع أنها لم تذكر في الآيتين؛ لأنها مما يجلب المودة واعتاد الناس عليه في الأضاحي. [الشرح الممتع ٧ / ٥٢٥].

ما ينبغي للمضحي تركه

١- إذا نوى الرجل أن يضحي ودخل عليه شهر ذي الحجة فلا يأخذ من شعره أو أظفاره أو بشرته شيئًا حتى يضحي؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره ولا من بشره شيئًا». وفي رواية: «فليمسك عن شعره وأظفاره». [أخرجه مسلم ٣/ ١٥٦٥].

ذهب فريق من أهل العلم إلى أن النهي هنا للتحريم، فلا يجوز للمضحي أن يأخذ من شعره وأظفاره إذا دخل شهر ذي الحجة. [نيل الأوطار ٦ / ٦٥٤].

وذهب جمهور أهل العلم إلى أن النهي هنا للكراهة. [الفقه الإسلامي وأدلته ٤ / ٢٧٣٥]. واستدلوا لذلك بحديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كنت أفتل قلائد هدي رسول الله ﷺ ثم يقلده ويبعث به ولا يحرم عليه شيء أحله الله له حتى ينحر هديه». [متفق عليه].

قال الشافعي: البعث بالهدي أكثر من إرادة التضحية، فدل ذلك على أنه لا يحرم ذلك. [الموسوعة الفقهية: ٥/ ٩٥].

٢- يكره الانتفاع بالأضحية قبل ذبحها من حلب وشرب لبن أو غير ذلك؛ لأنه عينها للقربة. [الموسوعة الفقهية].

٣- يكره للمضحي أن يضحي بأضحية فيها عيبٌ من العيوب حتى وإن كانت تجزئ عنه لأنها قربة لله، فينبغي أن تكون في أفضل هيئة.

٤- لا يعطي المضحي الجازر من لحم الأضحية أو جلدها شيئًا كأجرة على الذبح؛ لما روى علي رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بدنه وأن أقسم جلودها، وجلالها ولا أعطي الجازر شيئًا منها. [متفق عليه].

فإن أعطى الجازر لفقر أو لقرابة أو صداقة فلا بأس بذلك.

٥- لا يجوز للمضحي أن يبيع من أضحيته شيئًا سواء كان من اللحم أو الشحم أو الجلد، وهذا متفق عليه بين الفقهاء.

تنبيهات هامة للمضحي

١- نهي المضحي عن أخذ شيء من شعره وأظفاره إنما يختص برب البيت فقط، لأن النبي ﷺ خصه بالنهي، فلا يتوجه هذا النهي إلى سائر أهل البيت.

٢- إذا أخذ المضحي من شعره وأظفاره شيئًا قبل أن يضحي فإن هذا لا يؤثر على صحة الأضحية حتى عند من يقول بحرمة الأخذ.

٣- اشتهر على السنة كثير من الخطباء أن حكمة النهي عن الأخذ من الشعر والأظفار هو تشبه المضحي بالمحرم في الحج، وهو قياس غير صحيح، لأن المضحي لا يعتزل النساء، ولا يترك الطيب واللباس وغير ذلك مما يتركه المحرم، والذي رجحه أهل العلم في حكمة النهي هو أن يبقى المضحي كامل الأجزاء للعتق من النار.

٤- شاع بين البعض أن شراء اللحوم أو التصدق بثمن الأضحية أنفع للفقراء، وهو فهم فاسد؛ لأن الذبح في ذاته مقصد من مقاصد الأضحية، وفي هذا الفهم أيضًا مخالفة صريحة لهدي النبي ﷺ في تلك الأيام.

٥- يجوز للفقير التصرف في لحوم الأضاحي والجلود على الوجه الذي يراه أنفع له، لأنه أخذها على جهة التمليك.

٦- هناك بعض العيوب تكون بالأضحية غير التي ذكرناها مثل: مكسور القرن، أو مقطوع الإلية، أو غير ذلك، وهذه العيوب لا تؤثر في صحة الأضحية؛ لأن ما ورد في عدم صحة الأضحية بها لا تقوم به الحجة.

هذا ما تيسر لي جمعه من أحكام تتعلق بالأضحية، فما كان صوابًا فمن الله وحده، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

الاعتراف بالفضل

إعداد/ زكريا حسان (رحمه الله)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من مزايا هذا الدين العظيم أنه منهج متكامل صالح لكل زمان ومكان، فيه سعادة المرء في دينه ودنياه، ومن خير صور عطائه للبشرية ما جاءهم به من كريم الأخلاق، وكان في طليعتها الاعتراف بالفضل، فأكرم به من خلق، وأنعم بها من خصلة، وهذا بيانها:

الاعتراف لغة: مصدر اعترف بالشيء، أي أقر به، وهو مأخوذ من مادة عرف التي تدل على السكون والطمأنينة، تقول: هذا أمر معروف لأن من عرف شيئًا اطمأن إليه، ومن أنكره توحش منه، ومن هذا المعنى قولهم: «اعترف بالشيء» إذا أقرَّ به، وضد الاعتراف الجحود والنكران، قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣].

الاعتراف بالفضل اصطلاحًا:

أن يقر المتفضل عليه من الناس بفضل من يصدر عنه الفضل والإحسان وألا يجحده أو يتناساه، والله عز وجل هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، إذ هو المتفضل على الناس جميعًا (مسلمهم وكافرهم) بنعمه التي لا تحصى، وفي الآخرة يدخل عباده الصالحين المؤمنين الجنة ويورثهم دار المقامة من فضله.

ولهذا كان الاعتراف بفضل الله تعالى أولى المقامات، وقد أقر الأنبياء جميعًا بفضل ربهم عليهم وهم أعرف الخلق به سبحانه وبوافر نعمه وفيض كرمه عليهم وعلى الناس جميعًا.

قال يوسف عليه السلام لصاحبي السجن: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٨].

وقال سليمان عليه السلام: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]. فكل فضل ونعمة ومنة إنما هي لله تعالى على عباده، وانظر إلى نعم الله التي لا تحصى من مال وولد وصحة على سبيل الإجمال والتفصيل لتعلم أن فضل الله علينا عظيم، ولذلك لا يكون شكر هذه النعم والاعتراف بفضل الله علنًا باللسان فحسب، ولكن الاعتراف لله بالفضل يكون بتوحيده وحسن عبادته وتقواه وخشيته.

أولاً توحيد الله عز وجل:

فالتوحيد شرعًا: إفراد الله بحقوقه، ولله ثلاثة حقوق، وهي أقسام الإيمان بالله حقوق ملك، وحقوق عبادة، وحقوق لله في أسمائه وصفاته.

حقوق الأسماء والصفات (توحيد الأسماء والصفات): ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾.

ولكن مع فضل الله تعالى على الناس جميعًا ترى من ينقض التوحيد، فهل الذي يخل بالتوحيد معترف بنعمة الله عليه؟ فلننظر إلى من يعتقدون في أهل القبور ويعتقدون في الأقطاب والأبدال والأولياء والصالحين وأنهم ينفعون ويضرون ويعطون ويمنعون.

وإلى من يستعينون بالجن ويقدمون لهم القرابين كالتي تذبح على أعتاب المنازل والمحلات، والحامل عليه الاعتقاد في الجن وأنهم يضرون وينفعون لتعلم أن هؤلاء لا يعترفون بنعمة ربهم وفضله.

أما حسن العبادة:

فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والعبودية عرفها الجرجاني بقوله: الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود.

فمن العبادات الباطنة: المحبة والتوكل والخوف والرجاء.

ومن العبادات الظاهرة: الصلاة، والصيام، والحج، والدعاء، والنذر، والذبح، والطواف، والاستعاذة، والاستغاثة، وغير ذلك.

وأما تقوى الله وخشيته: فأمر يجب على كل إنسان أن يحيا عليه، ففيه الحياة وغيره موت القلوب قبل موت الأبدان.

والتقوى: حفظ النفس عما يغضب الرب، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما ورد في الحديث: «الحلال بين والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه».

بهذه المحاور الثلاثة يكون المرء شاكرًا لنعمة ربه معترفًا بفضله.

والله من وراء القصد.

من أخبار الجماعة

كل من عليها فان !!

يا نفس حَتَامَ إلى الدنيا سكونك وإلى عمارتها ركونك أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ومن وارته الأرض من أُلافك ؟!

ومن فجعت به من إخوانك ونقل إلى الثرى من أقرانك ؟!

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دوائر.

خلت دوارهم منهم وأقوات عراصهم وساقتهم نحو المنايا المقادرُ
وخلوا عن الدنيا ما جمعوا لهـــا وضمهم تحت التراب الخفائر

وبالأمس القريب شيعنا واحدًا من هؤلاء الرجال الذي عرفناه زمنًا طويلاً، الرجل المؤدب، وإذا أردت الدقة في الوصف فقل: «مات الرجلُ الخلوق»، ألا وهو الأخ الحبيب الشيخ/ زكريا حسان، رحمه الله، داعية من الدعاة الذين سخروا حياتهم كلهم للدعوة في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجعل ما لاقاه من عناء المرض والصبر عليه في موازين حسناته.

وبالأمس القريب أيضًا ودعنا والدًا من هؤلاء الرجال الذين كانت لهم جهود طيبة في مسيرة الدعوة في فرع شربين بمحافظة الدقهلية ألا وهو الشيخ عبد الباقي الحسيني رئيس فرع شربين

وجماعة أنصار السنة بوجه عام، وأسرة تحرير مجلة التوحيد بشكل خاص تدعو الله العلي القدير أن يرحمهما رحمة واسعة، وأن يجزيهم عما قاموا به خير الجزاء، ولا نقول إلا يرضي ربنا: «إنا لله وإنا إليه راجعون»

كما توفيت والدة الأستاذ/ عصام شعبان عبد العزيز، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بقليشو، نسأل الله تعالى أن يغفر لها، وأن يرحمها، وأن يجعل مثواها الجنة.

رئيس التحرير

الحلقة التاسعة إعلام المصلين والولاة

الحمد لله حمدًا لا ينفد أقصى ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فنتكلم في هذه المقالة عن إمامة من يخل بالأركان، فنقول وبالله التوفيق:

سابعا: إمامة من يخل بالأركان:

وذلك لأن من يخل بأركان الصلاة لا تصح صلاته، ولا تصح صلاة من خلفه، ولكن نبين ما هو المقصود بالإخلال بأركان الصلاة فلا بد أن نتعرض للآتي:

١- أركان الصلاة

تعريف الركن في اللغة: جانب الشيء الأقوى.

تعريف الركن اصطلاحًا: ما يتوقف عليه وجود الشيء وجودًا شرعيًا، وهو جزء من حقيقة الشيء وماهيته، فأركان الصلاة هي الأجزاء التي تتكون منها الصلاة والتي بدونها لا تصح الصلاة، وأركان الصلاة هي:

الأول: القيام مع القدرة:

وذلك في الفرض دون النفل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقوله ﷺ لعمران بن الحصين: «صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب». [رواه البخاري].

الثاني: تكبيرة الإحرام:

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم». [أخرجه أبو داود والترمذي، وقال عنه الألباني: حسن صحيح].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للمسيء صلاته: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر». [متفق عليه].

فينبغي للمصلي أن يقول: «الله أكبر»، فلا يجزئ أن يقول: «الله أجل» أو: «الله أعظم» وما أشبه ذلك، كما ينبغي أن يعلم أنه لا يصح أن يقول: «آلله أكبر» بمد الهمزة ؛ لأنها تنقلب حينئذ استفهامًا أي كأنه يسأل هل الله أكبر؟! ولا يقول: «الله أكبار» بمد الباء ؛ لأنها حينئذ تكون جمعًا للكبر والكَبَر هو الطبل، أما ما يقوله بعض الناس: «الله وأكبر» فيجعل الهزة واوًا، فهذا له وجه في اللغة العربية فلا تبطل الصلاة به.

الثالث: قراءة الفاتحة:

لقول النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». [رواه البخاري ومسلم]. فإن كان لا يعرفها لزمه أن يتعلمها، فإن لم يتمكن من تعلمها، قرأ ما يقوم مقامها من القرآن إن كان يعلمه وإلا سبح وحمد الله وهلل، وسيأتي الكلام - إن شاء الله - عن حكم قراءة الفاتحة في الصلاة للمنفرد، وخلف الإمام.

الرابع: الركوع:

لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا...» [الحج: ٧٧]. ولقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم اركع حتى تطمئن راكعًا». [متفق عليه].

الخامس: الرفع من الركوع:

لقوله ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا».

السادس: السجود:

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، ولقوله ﷺ: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا».

السابع: الجلوس بين السجدتين:

لقوله ﷺ: «ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا».

الثامن: السجود الثاني:

لأنه لا بد في كل ركعة من سجودين ؛ لقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا».

التاسع: التشهد الأخير والجلوس له:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد: السلام على الله، السلام على جبريل وميكائيل، فقال رسول الله ﷺ: لا تقول هكذا، ولكن قولوا: التحيات لله». [أخرجه النسائي وصححه الألباني]. فالشاهد من الحديث قول عبد الله بن مسعود: «قبل أن يفرض علينا التشهد» أي: أن التشهد فرض من فروض الصلاة.

اعتراض:

اعترض البعض على اعتبار التشهد الأخير من أركان الصلاة بأن قوله: «قبل أن يفرض علينا التشهد» لا تدل على أنه ركن، ويؤيده أن التشهد الأول: من التشهد، ومع ذلك تركه النبي ﷺ وجبره بسجود السهو، وهذا حكم الواجبات، فالتشهد الأخير مثله.

الرد على هذا الاعتراض

الأصل أن التشهدين الأول والأخير كلاهما فرض، ولكن خرج التشهد الأول بالسنة، حيث إن رسول الله ﷺ جبره لما تركه بسجود السهو، فيبقى التشهد الأخير على فرضيته ركنًا.

ولا بد أن يجلس المصلي للتشهد الأخير فلا يجوز أن يقرأه قائمًا لأن الجلوس له ركن.

العاشر: الترتيب بين الأركان

أي بين أركان الصلاة، فيكون القيام، ثم الركوع، ثم الرفع منه، ثم السجود، ثم القعود، ثم السجود.

الدليل على ذلك:

١- أن النبي ﷺ علم المسيء في صلاته الصلاة بقوله: ثم، ثم. وثم تدل على الترتيب.

٢- أن النبي ﷺ واظب على هذا الترتيب إلى أن توفي، ولم يخل به يومًا من الأيام، وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي». [أخرجه البخاري].

٣- أن هذا هو ظاهر قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا» فبدأ بالركوع، وقد قال النبي ﷺ حين أقبل على الصفا: «أبدأ بما بدأ الله به». [أخرجه مسلم].

فتكون الآية دالة على أن الركوع مقدم على السجود، وإنما عبرنا بالظاهر، لأن «الواو» لا تستلزم الترتيب، أي: ليس كل ما جاء معطوفًا بالواو فهو للترتيب، بلد قد يكون لغير الترتيب.

الحادي عشر: الطمأنينة:

أن يسكن الإنسان في الركن حتى يرجع كل فقار إلى موضعه، فالطمأنينة هي السكون وإن قل، وذلك لقوله ﷺ: «ثم اركع حتى تطمئن، ثم ارفع حتى تطمئن، ثم اسجد حتى تطمئن».

الثاني عشر: التسليم:

وذلك لقوله ﷺ في الحديث السابق: «وتحليلها التسليم»، وقد اختلف العلماء في حكم التسليمتين على أقوال: الأول: أن كلتا التسليمتين ركن في الفرض والنفل، والثاني: أن الثانية سنة في النفل دون الفرض، الثالث: أن الثانية سنة في الفرض والنفل، الرابع: التسليم ليس بركن، فإذا فعل ما ينافي الصلاة فقد انتهت الصلاة، والراجح من هذه الأقوال: أن التسليمتين كلتيهما ركن؛ لأن النبي ﷺ واظب عليهما وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي». ولأن من عادة النبي ﷺ العدل فإذا سلم على اليمين سلم على اليسار.

الدليل على بطلان صلاة من يخل بالأركان

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فرد النبي ﷺ عليه السلام، فقال: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ»، فصلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصلِّ إنك لم تصلِّ». (ثلاثًا)، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسنُ غيره فعلمني. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسرَ معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها». [متفق عليه].

عن سليمان قال: سمعت زيد بن وهب قال: «رأى حذيفة رجلاً لا يتم الركوع والسجود، قال: ما صليت، ولو مُتّ مُتّ على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا ﷺ عليها». [رواه البخاري].

٢- الأصل عدم الإخلال بالأركان والاستثناء على ذلك:

الأصل أن المسلم يجب عليه أن يصلي كما كان النبي ﷺ يصلي، فيأتي بأركان الصلاة على نفس هيئتها التي بينها لنا النبي ﷺ، ولكن قد يصلي المسلم وهو معذور فلا يستطيع أن يأتي بالأركان على هيئتها التي بينها النبي ﷺ، فما الحكم حينئذ؟!

الحكم أن صلاته صحيحة طالما أنه حاول جاهدًا الإتيان بالأركان على هيئتها إلا أنه لم يستطع، وذلك لقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ولقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فمثلاً: قد لا يستطيع المسلم القيام في الفريضة، فيصلي قاعدًا أو على جنب فصلاته صحيحة؛ لقوله ﷺ في الحديث السالف الذكر: «صلِّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

التبشير و التغريب

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الاستشراق لعب دورًا كبيرًا في تمهيد الطريق للتبشير ؛ ليقوم بدوره في غزو المجتمعات المسلمة، ولذا لا نخالف الحقيقة إذا قلنا: إن أكثر المبشرين مستشرقون، أو على أقل حال لابد للمبشر من قراءة ما كتبه المستشرقون عن العالم الإسلامي.

ولقد صار التبشير يمارس علانية في كل بلاد المسلمين، خاصة الفقيرة منها بهدف:

١- تدمير أخلاق وعقول المسلمين.

٢- تشكيك المسلمين في دينهم وقطع صلتهم بالإسلام.

٣- تمزيق المجتمعات المسلمة ببث روح الشقاق بين صفوفها.

٤- تشجيع الأقليات والقوميات على الانفصال عن العالم الإسلامي باسم القومية.

٧- شغل المسلمين بصراعات داخلية وحروب مستمرة وبث روح التخاذل والكسل بين أبناء المسلمين.

واستخدم التبشير لتحقيق هذه الأهداف وسائل مختلفة منها:

□□ المدارس التعليمية □□

فلقد نجح المبشرون في فتح مدارس تعليمية في بلاد المسلمين بغرض استقبال النشء المسلم لتشكيكه في عقيدته وزعزعة إيمانه، وحول دور المدارس التعليمية في تحقيق أهداف التبشير قال المبشر زويمر: «المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في الاحتكاك بالمسلمين».

وقال المبشر دانتي: «كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة النصرانية والعبادة النصرانية في نفوس الطلاب».

وقد وقع بعض المسلمين في شباك التبشير، فأرسل بعض الأثرياء والأغنياء أبناءهم إلى هذه المدارس التي تؤهلهم لتولي المناصب والقيادات، وفي بيان هدف تلك المدارس يقول المبشر زويمر: «ما دام المسلمون ينفرون من المدارس النصرانية فلا بد من أن ننشئ معهم مدارس علمانية ونسهل التحاقهم بها، لأنها تساعد على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب».

ومن أشهر هذه المدارس والجامعات، جامعة فيكتوريا بالإسكندرية، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، والجامعة الأمريكية ببيروت، والمدارس التي تفتح تحت إشراف القنصليات الأوربية الأجنبية، وكان لهذه

الجامعات والمدارس وسائل لتحقيق أهدافها، منها:

١- تقديم المنح الدراسية واستقبال البعثات من الباحثين المسلمين وإعادتهم لبلادهم متشبعين بالروح والثقافة الغربية.

٢- تقديم الخدمات الطبية والخيرية بفتح المستشفيات وبعث الإرساليات الطبية وقوافل الإغاثة وتقديم المساعدات الغذائية والتموينية.

٣- إلقاء المحاضرات والندوات وطبع الكتب والمجلات وإصدار الصحف والنشرات الدورية للترويج لأهدافهم وبث سمومهم.

٤- مناقشة ومتابعة سير العمليات التبشيرية بعقد المؤتمرات الدورية للمبشرين لتعديل وتجديد الخطط بما يناسب الأهداف.

٥- رعاية الأحزاب والمذاهب المخالفة للإسلام ودعم القومية العربية، وما حزب البعث منا ببعيد، فالذي أسسه ميشيل عفلق، وكذا حزب القوميين العرب، وجورج حبشي، والحزب القومي السوري، وأنطون سعادة، وغيرهم.

وللتبشير أهداف واضحة المعالم يمكن تقسيمها لأهداف استعمارية وسياسية وعلمية وتجارية فضلاً عن الأهداف الدينية التي سبق أن بيناها في البداية:

١- الأهداف الاستعمارية:

مع فشل الحملات الصليبية على بلاد المسلمين إلا أن الغرب يسعى بكل ما يملك إلى العودة إلى بلاد العرب والمسلمين لاحتلالها واغتنام خيراتها والسيطرة على شعوبها، ولذا كان الاهتمام بدارسة هذه البلاد دارسة عميقة، وكذا دراسة رصيد كل الحركات الإسلامية فيها بهدف التعرف على مواطن القوة والضعف وبث الوهن وإخفاق المقاومة الروحية والمعنوية والتشكيك في قدراتنا لكي نسلم للواقع ونعيش في أحضان الغرب ونستجدي منه الأخلاق والعقائد والثقافة ونكون له تبعًا حذو القذة بالقذة.

٢-الأهداف السياسية:

وتهدف إلى بث الدسائس والوقيعة بين بلاد المسلمين لإحداث الفرقة بينها، والأمثلة على ذلك في الواقع المعاصر متعددة، وقد تأخذ هذه الوقيعة شكل النصح والتوجيه مصداقًا لقول رب العالمين: «يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ». [التوبة: ٨].

٣-الأهداف التجارية:

يُعَدّ الإغداق المالي الكبير على المستشرقين من أسباب إقبال الكثير من العلماء والمثقفين إلى المؤسسات الاستشراقية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نجاح المستشرقين في إخفاق المسلمين وهزيمتهم نفسيًا أمام الحضارة الغربية المزعومة ساعد على فتح بلاد المسلمين كسوق أمام منتجات الغرب، فساعد ذلك على انتعاش بضاعتهم وازدهار تجارتهم وضعف صناعة المسلمين وتجارتهم في أسواقهم المحلية.

٤-الأهداف العلمية:

وهذه الأهداف غاية القليل في المستشرقين الذين أقبلوا على الاستشراق بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وثقافتها ولغاتها، فأفضت بهم الدراسة إلى خلع عبادة الكفر واعتناق الإسلام أمثال الفرنسي محمد أسد، وروجيه جارودي، وغيرهم، وفي المقابل هناك المتعصبون منهم الذين أعماهم الحقد وأشعل في صدورهم الحسد على الإسلام وأهله أمثال توماس أرنولد وجوستاف لوبون، وغيرهم.

ويعد الاستشراق والتبشير والتغريب من وسائل الغزو الفكري المعاصر لبلاد المسلمين.

وفي الختام نوضح أن عملية التغريب لبلاد المسلمين ارتبطت بظاهرتين أولاهما: فصل الدين عن الدولة (العلمانية)، والثانية: التقليد الأعمى للغرب في كل النواحي الاجتماعية والأخلاقية والسياسية واستخدم الغرب لذلك الوسائل العديدة، منها:

١- البعثات والإرساليات العلمية.

٢- ترجمة كتب المستشرقين والأوروبيين.

٣- تغريب مناهج التعليم.

٤- تغريب وسائل الإعلام.

٥- تحريض المرأة على نبذ الإسلام.

٦- تربية زعامات علمانية تقود الأمة الإسلامية.

٧- تربية قادة الأدب والفكر على الثقافة الأوربية.

٨- نشر المذاهب اللادينية والعادات الهدامة.

٩- فرض النظم والقوانين الوضعية بالقوة على بلاد المسلمين.

١٠- تدبير الانقلابات العسكرية وزرع قيادات معادية للإسلام.

وسنعرض لبعض هذه الوسائل في المقالات القادمة، إن شاء الله تعالى. والله من وراء القصد.

من محبطات الأعمال

«قطيعة الرحم»

إعداد/ عبده الأقرع

الحمدُ لله الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا، وأصلي وأسلم على سيد ولد آدم يوم الدين، وخير من وصل الأقربين، نبينا محمد وآله وسلم، وبعد:

فمع المحبط الخامس للأعمال، وهو: «قطيعة الرحم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أعمالَ بني آدم تُعرضُ كلَّ خميس ليلةَ الجُمعة، فلا يقبل عملُ قاطع رحم». [صحيح الترغيب ٢٥٣٨].

يهدف الإسلام إلى بناء مجتمع إسلامي متراحم متعاطف، تسوده المحبة والإخاء، ويهيمن عليه حبُّ الخير والعطاء، والأسرة هي وحدةُ المجتمع، وقاعدةُ الحياة البشرية، تسعدُ بتقوى الله ورعاية الرحم.

والإسلامُ عُني بتوثيق عرى الأسرة، وتثبيت بنيانها، والإحساس بحقها، وعدم هضمها وظلمها، والتحرج من خدشها أو الإضرار بها، وأتى بالأسس التي تكفلُ تماسكَ الأسر واطمئنان الأفراد، جعل صلةَ الرحم من الأسس التي عليها البناء، وسعى إلى حمايتها من المؤثرات التي توهن بناءها، فدعا الإسلام إلى صلة الرحم، ومعاملة الأرحام معاملةً تتفق مع ما شرَع الله من أحكام، وما وضع من آداب.

فقرنت الرحم بحقِّ الله تعالى في التقوى، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقرن الله الأمر بتوحيده والنهي عن الإشراك بالإحسان إلى الوالدين والأقربين، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء: ٣٦].

وبصلة الرحم أمر الله من سبقنا من الأمم: وهي من الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

واهتم رسول الله ﷺ بالأسرة من أول دعوته المشرقة. فعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل:... فماذا يأمركم - يعني النبي ﷺ - قال أبو سفيان: قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والصلة». [متفق عليه].

لأن أسرة الإنسان وقرابته هم عدته وسنده، وهم أصله وقوته، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عشيرتك هم جناحك الذي بهم تُحلِّق، وأصلك الذي به تتعلَّق، ويدك التي بها تصول، ولسانك الذي به تقول، هم العُدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعُد سقيمهم، ويسِّر على معسرهم، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك.

فرحم الإنسان هم أولى الناس بالرعاية وأحقهم

بالعناية، وأجدرهم بالإكرام والحماية.

وإذا فُقد ذلك، تقطعت الأوصال التي حذّر الله من قطعها، فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

فقطيعة الرحم شؤمٌ وخرابٌ، وسببٌ للعنة وعمى الأبصار. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقد تكفل الله للرحم بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «الرحمُ مُعلقةٌ بالعرش تقول: من وصلني وصلهُ الله، ومن قطعني قطعهُ الله». [متفق عليه].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: أنا الله، أنا الرحمن، خلقتُ الرَّحم، وشققتُ لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلتُه، ومن قطعها قطعته - أو قال: بَتَتُّه». [صحيح الترغيب: ٢٥٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قَطَعَك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ : «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]. (صحيح الترغيب: ٢٥٢٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرحم شُجنة من الرحمن تقول: يا ربِّ إني قُطعت، يا رب إني أُسيء إليَّ، يا رب إنِّي ظُلمت، يا رب، يا رب، فيجيبُها: ألا ترضين أن أصلَ مَنْ وصلَك، وأقطعَ مَنْ قطعَك». [البخاري ١٠/ ٣٤٩ / ١٣ / ٣٩٢، ومسلم ٢٥٥٤].

معنى «شجنة»: أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق وأفرع الشجرة.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الرحم حَجنة متمسكة بالعرش، تكلم بلسان ذلق: اللهم صِلْ مَنْ وصلني، واقطع من قطعني، فقول الله تبارك وتعالى: أنا الرحمن الرحيم، إني شققت للرحم من اسمي، فمن وصلها وصلته، واقطع من قطعني، فيقولُ الله تبارك وتعالى: أنا الرحمنُ الرحيمُ، إني شققْتُ للرحم من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن بتكها بتكْتُه». [صحيح الترغيب ٢٥٣١]. وقوله: «من بتكها بتكته» أي: (من قطعها قطعته).

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن تقطيع الأرحام من أعظم كبائر الذنوب، وعقوبتها معجلةٌ في الدنيا قبل الآخرة.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما منْ ذنب أجدرُ أن يعجلَ الله لصاحبه العقوبة في الدنيا - مع ما يدخرُ له في الآخرة - من البغي وقطيعة الرحم». [البخاري ٥٩٨٤- باب إثم القاطع، ومسلم ٢٥٥٦ في البر والصلة].

وأخبر ﷺ أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة. فعن أبي محمد جُبَير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع». [البخاري ٥٩٨٤ باب إثم القاطع، ومسلم ٢٥٥٦ في البر والصلة].

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أنه قال: «إنَّ من أربى الربا الاستطالة في عِرْضِ المسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شجنةٌ من الرحمنِ عز وجل، فمن قطعها حرَّم عليه الجنة». [صحيح الترغيب ٢٥٣٢].

وفي المقابل بين رسول الله ﷺ أن صلة الرحم من أسباب دخول الجنة. فعن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناسُ، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام». [صحيح: الترمذي ٢٤٨٥ في صفة القيامة، وصحيح الجامع ٧٨٦٥، والصحيحة ٥٦٩].

وعن أبي أيوب رضي الله عنه: أن أعرابيًا عَرَضَ لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله - أو يا محمد - أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: فكفَّ النبي ﷺ، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لقد وُفِّقَ - أو: لقد هُدي». قال: كيف قلت؟ قال: فأعادها، فقال النبي ﷺ: «تعبدُ الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصلُ الرحم، دع الناقة».

وفي رواية: «وتصلَ ذا رَحِمِكَ». فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «إن تمسك بما أُمر به دخل الجنة». [صحيح الترغيب ٢٥٢٣].

وبيَّن رسول الله ﷺ أن صلة الرحم، محبةٌ في الأهل، ومثراةٌ في المال، ومنسأةٌ في الأثر، وبركةٌ في الرزق، وتوفيق في الحياة، وعمارةٌ للديار، يكتب الله بها العزة، وتُملأ بها القلوب إجلالاً وهيبة.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أحبَّ أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصلْ رحمه». [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبي ﷺ قال لها: «إنَّه من أعطي حظه من الرفق، فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الجوار، أو: حُسن الخُلق - يعمر الديار، ويزيدان في الأعمار». [صحيح الترغيب: ٢٥٢٤].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أهلَ البيتِ ليكونون فجرَةً، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا». [صحيح الترغيب ٢٥٣٧].

وبيَّن رب العزة سبحانه وتعالى أن أفضل النفقة؛ النفقة على الأقارب. قال سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

فقد جعل الله تعالى لذي القربى حقًا في الأعناق، فليس هو تفضلاً إنما هو الحق الذي فرضه الله.

وبيَّن رسول الله ﷺ أن الصدقة على الرحم ثوابها مبرور، وأجرُها مضاعف، فعن سلمان بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة». [صحيح الجامع: ٣٨٥٨، والمشكاة: ١٩٣٩، وصحيح الترغيب: ٨٨٣].

وعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «أفضلُ الصدقة على ذي الرحم الكاشح». [صحيح الجامع: ١١١٠، والإرواء ٨٩٢، وصحيح الجامع: ٢٥٣٥].

يعني: أن أفضل الصدقة الصدقةُ على ذي الرحم المضمر العداوةَ في باطنه، وهو في معنى قوله ﷺ: «وتَصِلُ من قطعك».

وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدورُ عليها فيه، قالت: يا رسول الله، إني أعتقتُ وليدتي؟ قال: «أو فعلت؟»، قالت: نعم. قال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك». [متفق عليه].

قريبك قطعةٌ منك، إن أحسنت إليه فإنما تحسن إلى شخصك، وإن بخلت عليه، فإنما تبخل عن نفسك، وإذا لم يجد إنسان ما يؤدي به حقَّ الأقربين، فليقل لهم قولاً لينًا، ففي القول الميسور، عوضٌ وأملٌ وتجمل.

قال الله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٨].

ولكن ذوي الرَّحم، ليسوا ملائكة ولا أنبياء معصومين، يتعرضون للزلل، وينطقون بالخطأ، وتصدر منهم الهفوة، ويقعون في الكبيرة، فإن بدر منهم شيءٌ من ذلك،فالزم جانبَ العفو معهم، فإن العفو من شيم المحسنين، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزًا، وقابل إساءتهم بالإحسان، واقبلْ عذرَهم إذا أخطأوا.

لقد فعل إخوةُ يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوه، وعندما اعتذروا، قبل عذرهم وصفح عنهم الصفح الجميل، ولم يوبِّخهم، بل دعا لهم، وسأل الله المغفرة لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

لأن مقابلة الإحسان بالإحسان، مكافأة ومجازاة، ولكنْ الواصل من يتفضلُ على صاحبه ولا يتفضلُ عليه صاحبه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها». [البخاري: ٥٩٩١ في الأدب: باب: ليس الواصل بالمكافئ].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني لي قرابة أصلُهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك». [مسلم: رقم (٢٥٥٨) باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها].

معنى «تُسفُّهم الملَّ»: أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيهٌ لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحارُ من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، لكن ينالهم إثمٌ عظيمٌ بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير: أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أنظر إلى ما هو دوني، وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرًّا، وأوصاني أن أكثر من: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فإنها كنزٌ من كُنوز الجنة». [صحيح الترغيب: ٢٥٢٥].

فالصفح عنهم ونسيان معايبهم وإن لم يعتذروا، من كرم النفس، وعلو الهمة، ومن أخلاق الأكابر، وأهل الفضل، والكريم يعطي الناس حقوقهم ويتغاضى عن حقه، فهذا أدبُ الفضلاء، ودأبُ النبلاء، فالزم جانب العفو معهم، ودع الخصام فإن معاداة الأقارب شر وبلاء، الرابح فيها خاسر، والمنتصر مهزوم، وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها وتشهد عليه بقطيعة إن كان قطعها.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستوحشون من الجلوس مع قاطع الرحم.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «أحرِّج على قاطع رحم لما قام من عندنا».

وكان ابن مسعود رضي الله عنه جالسًا في حلقة بعد الصبح، فقال: أنشدك الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مُرتجة - أي مغلقة - دون قاطع رحم.

فاتقوا الله عباد الله وصلوا أرحامكم، وقدموا لهم الخيرَ ولو جفَوْا، وصلوهم وإن قطعوا.

وصلةُ الرحم والإحسانُ إلى الأقربين، ذاتُ مجالات واسعة، ودروبٍ شتى، فمن بشاشة عند اللقاء، ولين في المعاملة، إلى طيب في القول، وطلاقة في الوجه، زيارات وصلات، تفقدُ واستفسارات، مهاتفةٌ ومراسلة، مشاركةٌ في الأفراح، ومواساةٌ في الأتراح، وإحسانٌ إلى المحتاج، وبذلٌ للمعروف، والمعنى الجامعُ لذلك كلِّه: إيصالُ ما أمكن من الخير، ودفعُ ما أمكنَ من الشر.

حُكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف - وكان أجودَ قريشٍ في زمانه - قالت: يا طلحةُ ما رأيتُ قومًا ألأمَ من إخوانك؟ قال: ولمَ ذاك؟ قالت: أراهم إذا أيسرْتَ وكثرُ مالك زاروك ولزموك، وإذا أعسرتَ تركوك؟ قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عليهم.

فانظروا - كيف تأول بكرمه هذا التأويل، وفسرَّ بنبيل أخلاقه هذا التفسير، حتى جعل قبيح فعلهم حسنًا، وظاهر غدرهم وفاءً، وهذا محضُ الكرم ولبابُ الفضل، وبمثل هذا يظهر ذوو الفضل.

وللحديث بقية إن شاء الله.

مسابقة السنة

تعلن إدارة المعاهد وشئون التعليم عن إقامة المسابقة الكبرى في السنة النبوية للسنة الثالثة وذلك على النحو التالي:

أولا: مستويات المسابقة

الأول: حفظ خمسمائة حديث من مختصر صحيح مسلم للمنذري، من أول تحقيق الشيخ الألباني.

الثاني: حفظ كتاب عمدة الأحكام من أوله إلى آخره.

الثالث: حفظ مائتين وسبعة وأربعين حديثا من كتاب عمدة الأحكام إلى نهاية كتاب الحج.

الرابع: حفظ مائة واحد وخمسين حديثا من كتاب عمدة الأحكام إلى أول كتاب الجنائز.

مع ملاحظة أن الأحاديث تحفظ نصوصها مضبوطة بالشكل ومعها معرفة معاني

ثانيا: مواعيد إجراء المسابقة

يوم السبت	ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، الموافق٤ / ٢٠٠٩/م	اختبار المستوى الأول
يوم الأحد	ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، الموافق ٤/ ٢٠٠٩/م	اختبار المستوى الثاني
يوم الاثنين	ربيع الآخر ١٤٣٠هـ الموافق ٤/ ٢٠٠٩/م	اختبار المستوى الثالث
يوم الثلاثاء	ربيع الآخر ١٤٣٠هـ الموافق ٤/ ٢٠٠٩/م	اختبار المستوى الرابع

ثالثا: جوائز المسابقة

	الأول	الثاني	الثالث	من الرابع إلى العاشر	من الحادي عشر إلى العشرين
المستوى الأول	٣٠٠٠ جنيه	٢٥٠٠ جنيه	٢٠٠٠ جنيه	١٢٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه
المستوى الثاني	٢٠٠٠ جنيه	١٧٠٠ جنيه	١٥٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه
المستوى الثالث	١٥٠٠ جنيه	١٠٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه
المستوى الرابع	١٠٠٠ جنيه	٧٠٠ جنيه	٥٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٢٠٠ جنيه

مع تمنيات إدارة المعاهد وشئون التعليم، وأسرة تحرير مجلة التوحيد بالتوفيق والنجاح ..

الآن بمقر مجلة التوحيد

المجلد الجديد لعام ١٤٢٨هـ

سارع بطلب نسختك وحجزها قبل نفاد الكمية

مفاجأة

... لا تحرم
مكتبتك وبيتك
وأولادك من هذا
العلم النافع

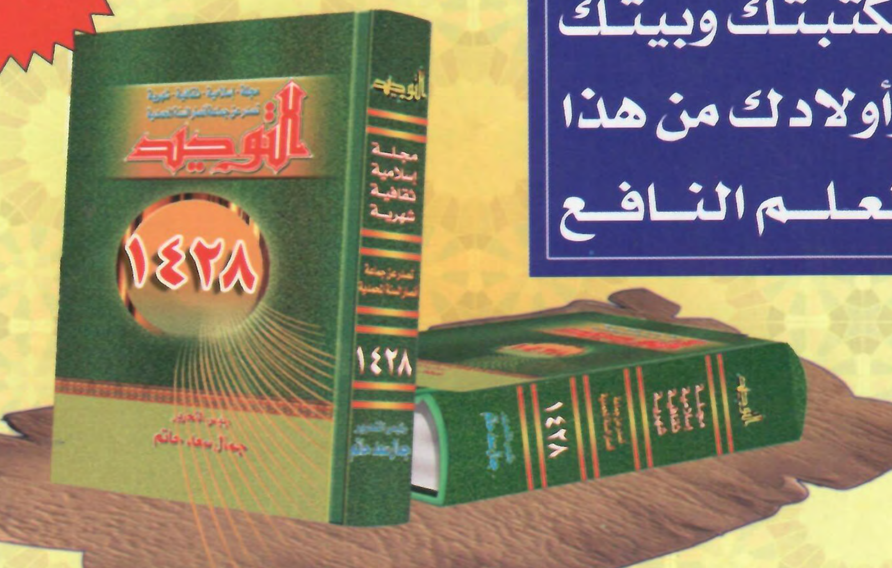

اهدِ نسخة لمسجدك - ونسخة لمكتبتك العامة

- علم نافع وصدقة جارية لا تُفوِّت الفرصة

كرتونة المجلدات أُضيف إليها ذخرٌ جديد

فأصبحت ٣٦ مجلدًا - أقبل على الخير